الـجمهـوريـة الجـزائرية الديمـقـراطية الشعـبيـة

وزارة التعـليم العـالي و البحث العلمـي

جـامعة ابـن خـلدون – تـيارت –

كلـية الآداب و اللـغات

قسـم اللـغة و الأدب العربي

مـذكـرة مكملة لنيـل شهـادة المـاستر فـي اللغة و الأدب العـربي

تـخـصص : لسـانيات الخـطاب

مـوسـومـة بـــ :

بـلاغة أسلوب الاحـتراس فـي الـقرآن الكـريـم مـن خـلال تـفسير " التحرير و التنوير" للشّيخ ابن عاشور

إعـداد الـطالبـة :

نـاجـم أمـال

إشـراف الأستـاذ :

بـلـمرسلي سـبع

أعـضاء لجـنة المنـاقشـة

اسم و لـقب الأستاذ	الـرتبـة	الـصـفـة
حـدوارة عمر	أستاذ	رئيسًا
بلمـرسلي سبع	أستاذ	مشرفًا و مقررًا
بن قدور مسعود	أستاذ محاضر أ	ممتحنًا

السنـة الجـامعـية : 1445هـ / 1446هـ

2023 م / 2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

بعد مسيرة دراسية دامت سنوات ، ها أنا اليوم أقف على عتبة تخرجي ، أقطف ثمار تعبي، و أرفع قبعتي بكل فخر ، فاللهم لك الحمد قبل أن ترضى ، و لك الحمد إذا رضيت، و لك الحمد بعد الرضا ، لأنّك وفقتني على إتمام هذا العمل و تحقيق حلمي .

أهدي هذا النجاح.....

إلى من كلّل العرق جبينه ، و من علّمني أنّ النجاح لا يأتي إلّا بالصبر و الإصرار ، إلى النور الذي أنار دربي و السراج الذي لا ينطفئ نوره بقلبي أبدًا ، من بذل الغالي والنفيس، و استمدّيتُ منه قوتي و اعتزازي بذاتي .....والـــدي العـــزيـــز

إلى من جعل الجنة تحت أقدامها ، و سهلت لي الشّدائد بدعائها ، إلى المرأة العظيمة التي لطالما تمنّت أن تقرّ عينها لرؤيتي في يوم كهذا .....أمـــي العـــزيـــزة

إلى ضلعي الثابت و أمان أيامي ، إلى سندي .....أخـــي ، أخـــواتـــي الغـــوالـــي

إلى كل من كان عونًا و سندًا في هذه الطريق ، إلى من أفاضني بمشاعره و نصائحه المخلصة

إليكم عائلتي أهديكم هذا الإنجاز ، و ثمرة نجاحي الذي لطالما تمنّيته . ها أنا اليوم أكملت و أتممت أول خطواته بفضله سبحانه و تعالى . فالحمد لله على ما وهبني و أدعوه أن يجعلني مباركة و أن يعينني أينما كنت . فمن قال أنا لها نالها ، فأنا لها و إن أبت رغمًا عنها أتيت بها .

﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يُونُس : ١٠]

أمـــال

شـــكر و تـــقـدير

قـــال تعـالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾

صـــــدق الله العـــظيم

و تأسيسًا بهذا الأدب الرفيع ، أتقدّم بأسمى معاني الاحترام و التقدير و الامتنان للأستاذ الفاضل " بلمرسلي سبع " على جهوده المبذولة و توجيهاته الهادفة و رحابة صدره و سعة قلبه .

أطال الله في عمرك و أمدّك بالصحة و العافية ، و أدامك فخرًا للجامعة الجزائرية

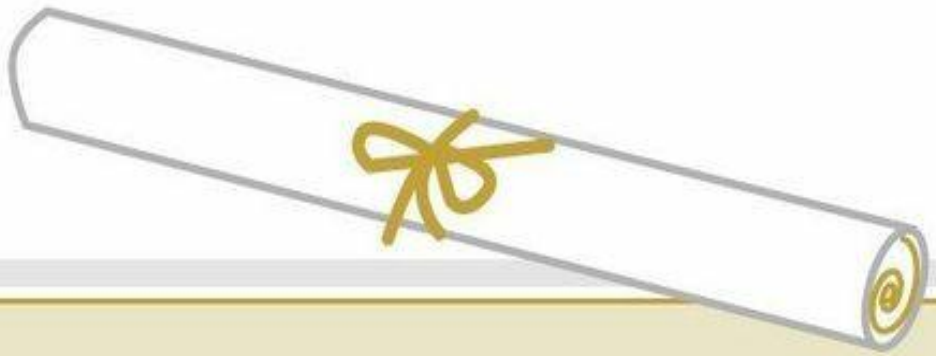

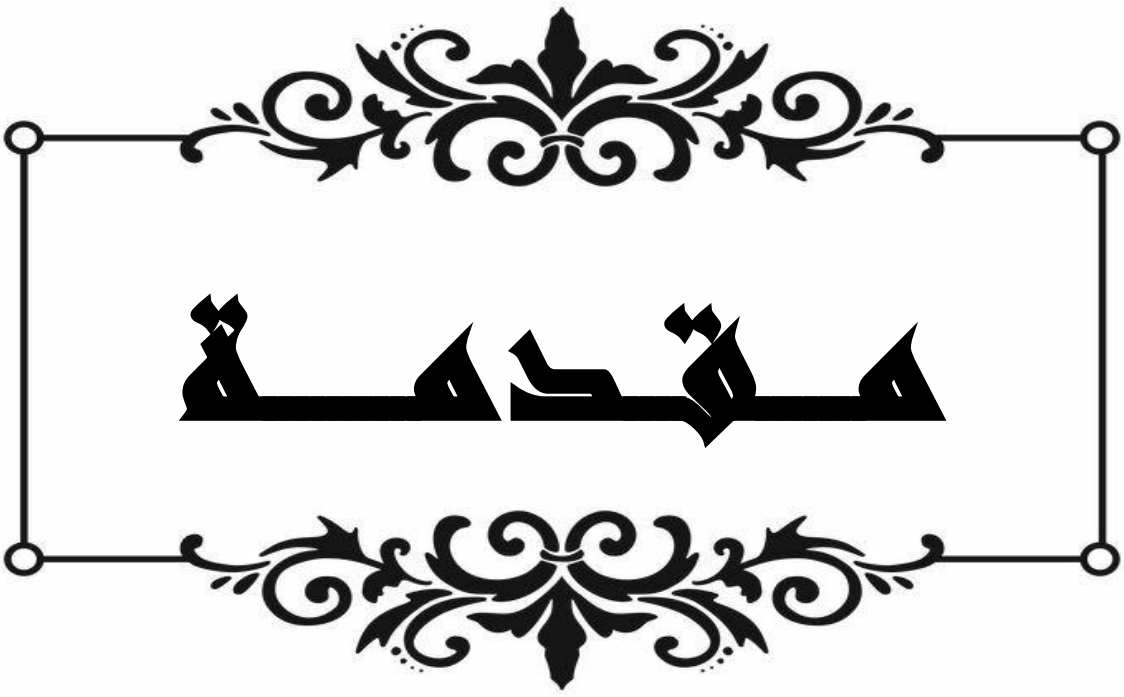
مقدمة

مقـــــدّمـــــة :

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبيّنا محمد و على آله و صحبه أجمعين أمّا بعد:

إنّ دليل المسلم إلى مرضاة الله سبحانه و تعالى و جنّاته هو القرآن الكريم ، فهو كلام الله المنزّل على نبيّه محمد عليه أزكى الصلاة و التسليم ، المنقل إلى عباد الله بالتواتر . و هو حبل الله المتين و الصراط المستقيم ، و قد تميز كتاب الله المقدّس بفصاحة لفظه ، و إحكام نظمه ، و حسن بيانه . ومن بيان القرآن تلوين خطابه وتنويع أسلوبه ، و من الأساليب التي يزخر بها كتاب الله عزّ وجل أسلوب الاحتراس .

فالاحتراس من الفنون البلاغية التي تحظى بأهمية و مكانة من قِبل علماء البلاغة و المفسّرين، فلهذا جاءت الرغبة في تناوله و إبراز قيمته في سور القرآن الكريم ، و الوقوف على معناه من خلال السياق الوارد فيه ، و مدى إسهامه في انسجام و تماسك النّص القرآني ، و إبراز أثره في المعاني البلاغية في القرآن الكريم .

ومن الأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع:

- تعلق موضوع الدّراسة بكتاب الله عزّ وجل المقدّس " القرآن الكريم " ، فمن خلاله يتبيّن الإعجاز البياني الذي ينتظم في القرآن الكريم .
- أضف إلى ذلك أنّه من الأساليب التي لم تنل حظّها من الدّراسة في كتب المفسرين و البلاغيين.

- الاجتهاد في بيان بلاغة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم من خلال كتاب تفسير " التحرير و التنوير " للشيخ الطّاهر بن عاشور رحمه الله ، الذي فسّر القرآن الكريم كاملا، و اهتم ببيان مواقع هذا الأسلوب في القرآن وأغراضه ودلالاته.

و يكمن الهدف من هذه الدّراسة في:

- بيان مفهوم أسلوب الاحتراس ، و التفريق بينه و بين الأساليب البلاغية الأخرى القريبة منه .
- بيان قيمته الأدبية و الدور الذي يؤديه .
- جمع عدد من الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا الفن البلاغي من خلال كتاب تفسير " التحرير و التنوير " للشّيخ ابن عاشور .

وتحاول هذه الدراسة لهذا الفن البلاغي في القرآن مجتهدة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم الاحتراس ؟ و ما هي ضوابطه ؟
- ما الفرق بينه و بين الأساليب البلاغية الأخرى القريبة منه ؟
- و كيف اجتهد الشّيخ الطّاهر بن عاشور في تبيان بلاغة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم من خلال تفسيره " التحرير و التنوير " ؟ وما أهم الأغراض التي جاء يخدمها هذا الأسلوب في القرآن؟

و بناء على تلك التساؤلات جاء البحث وفق التصور الآتي :

❖ الفصل الأول : خصّص لمفهوم أسلوب الاحتراس ، و جاء في مبحثين :
  - المبحث الأول : أسلوب الاحتراس المفهوم و الضوابط .
  - المبحث الثاني : الفرق بين أسلوب الاحتراس و بعض الأساليب البلاغية الأخرى .
❖ الفصل الثاني : خصّص لبيان بلاغة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم ، بالاعتماد على تفسير الشّيخ الطّاهر بن عاشور " التحرير و التنوير " .

❖ و تصدّرت الفصول مقدّمة ، و انتهى البحث بخاتمة جاءت متضمنة نتائج الدّراسة .

❖ بالإضافة إلى ملحق تضمّن التعريف بالشّيخ الطّاهر بن عاشور ، و مدونته " التحرير و التنوير"، و يتبعه الفهارس الفنية ، ثم قائمة المصادر و المراجع ، ففهرس الموضوعات .

أمّا المنهج المعتمد عليه في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التداولي (الوصفي: لأننا نعرض ما جاء عند الطاهر بن عاشور بخصوص هذا الأسلوب كما هو) ، (التداولي: لأننا ننظر بلاغة هذا الأسلوب في النص وتأثيره في المتلقي، وبالتالي الحكم بجمالية الأسلوب وحسن الاختيار) .

و لإنجاز أي بحث علمي لابد من الاطّلاع على دراسات سبق أن تضمّنت موضوع هذا البحث ،كمقال الاحتراس في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) ، لأحمد فتحي رمضان و عدنان عبد السلام الأسعد ، في مجلة آداب الرافدين . و مقال الاحتراس في البلاغة العربية (دراسة في تحرير المصطلح) لعنود بنت أحمد حليس العنزي ، في مجلة حولية اللغة العربية بجرجا . إلّا أنّ كلاهما لم يتناول بلاغة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم بشمولية تامّة ، و إنّما ناقشت جزءًا منه .

و من بين المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذا البحث ما يلي :

- كتاب تفسير " التحرير و التنوير " للشّيخ ابن عاشور .
- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، لابن الأثير .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، للألوسي .
- تفسير حدائق الروح و الريحان في روابي علوم القرآن ، للشافعي محمد الأمين الهرري . وغيرها من المراجع ..

إنّ مسيرة هذا البحث كانت طويلة ، لأنّ موضوع الاحتراس موضوع ثري المعاني ، فلا بدّ من مواجهة صعوبات في البحث ، فمن بين الصعوبات ما يلي :

- أنّ موضوع الاحتراس في البحث لا يمكن دراسته خارج إطار التفسير و علوم القرآن الكريم .
- اتساع المدونة، والتي هي من ثلاثين جزءا، يتطلب جهدا كبيرا في القراءة والمتابعة لهذا الأسلوب، وهو ما لا يمكن في فترة البحث الوجيزة، ما يدفع إلى الاكتفاء في القراءة والمتابعة بالقدر الذي يخدم الغرض.

و إنّي في الأخير ،أحمد الله عزّ وجل حمدًا كثيرًا مباركًا فيه ، على ما وفّق و أعان ، و يسّر إتمام هذا العمل المتواضع ، فالحمد له أولًا و آخرًا ، و ظاهرًا و باطنًا . و أقدّم هذا البحث معتذرة عمّا فيه من نقص أو قصور . فإن كنت أصبت فمن الله عزّ وجل ، و إن كنت أخطأت فمن عجز نفسي . فالكمال لله وحده و هو الهادي إلى السّداد و الموفّق إلى كمال المراد .

الـفـصـل الأول

أسـلـوب الاحتـراس

المـفـهـوم و الضـوابـط

الـفـصـل الأول : أسلوب الاحتراس المفهوم و الضوابط

الــمبحث الأول : مفــهوم أسلــوب الاحتـــراس

يعــد أســلوب الاحــتراس مــن المواضــيع المهمــة لأنّــه يتنــاول جــزءا مــن بلاغــة القــرآن الكــريم، غــير أنّــه لم ينــل العنايــة اللازمــة بــه . فالدراســات البلاغيــة لهــذا الأســلوب وفي القرآن الكريم خاصة قليلة ما يدعو إلى الاهتمام به وبحثه والوقوف عنده فهما وتدبرا.

أولا : الاحــتـراس فــي اللغـــة

يرجــع أصــل كلمــة الاحــتراس الى مــادة (ح ر س) الــتي هــي بمعــنى (الحفــظ)، " حَـرَسَ الشَّـيْءَ يَحْرُسُـه ويَحْرِسُـه حَرْسـاً: حَفِظَـهُ؛ وَهُـمُ الحُـرَّاسُ والحَـرَسُ والأَحْـراسُ .واحْـتَرس مِنْـهُ :تَحَـرَّزَ. وتَحَرَّسْـتُ مِـنْ فُـلَانٍ واحْتَرَسْـتُ مِنْـهُ بِمَعْـنًى أَي تَحَفَّظْـتُ مِنْـهُ .وَفِي الْمَثَـلِ :مُحْـتَرِسٌ مِـنْ مِثْلِـهِ وَهُـوَ حـارِسٌ؛ يُقَـالُ ذَلِـكَ لِلرَّجُـلِ الَّـذِي يُـؤْتَمَنُ عَلَـى حِفْـظِ شَـيْءٍ لَا يُـؤْمَنُ أَن يَخُـونَ فِيهِ ".[1]

ثانيـــا : الاحتـــراس فــي الاصطــلاح

تشــابهت التعــاريف لمصــطلح الاحــتراس في مختلــف المصــنفات في علــوم القــرآن الكــريم و علــوم البلاغــة. نــذكر منهــا قــول الخطيــب القــزويني : " هــو أن يــؤتى في كــلام يــوهم خــلاف المقصــود بمــا يدفعــه " .[2] وقــول الزركشــي : " هــو أن يكــون الكــلام محــتملا لشــيء بعيــد فيــؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال" . [3]

---

[1] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ، لسان العرب ، الحواشي : اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر ، بيروت ، ط3 / 1414 هـ ، ج6 / ص48 .

[2] الخطيب القزويني أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر الشافعي ، التلخيص في علوم البلاغة ، تحقيق: الأستاذ عبد الرحمان البرقوقي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 / ص229 .

[3] الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط3 / 1957 م ، ج3 / ص65 .

يتضح من خلال التعريف الاصطلاحي لأسلوب الاحتراس أنّه : هو العبارة المؤتى بها في الكلام لدفع التوهم ، فغرضه الأساس هو دفع التوهم الذي يفسّر المعنى ، أو يعلّله ، أو يؤكده ، أو يخصّصه ،...

ثالثا : الاحتراس في القرآن الكريم

جعل البلاغيون الاحتراس ضربين ، و ذلك بحسب موقعه في الكلام :

_ ضرب يتوسط الكلام كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

[البقرة : 139]

أمر الله تعالى في الآية الكريمة محمدًا عليه الصّلاة و السّلام بتقديم الحجة لليهود و النّصارى ، لإظهار الحق و الطّريق الصّحيح ، بعد أن قالوا له و من معه : {كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ}، قال ابن عثيمين في تفسيره قوله تعالى :{ قل أتحاجُّوننا في الله }:الخطاب في قوله تعالى : {قل} موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ و {أتحاجوننا في الله} موجه للذين يحاجون الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود، والنصارى؛ و (المحاجة) هي أن يدلي كل خصم بحجته لينقض حجة الخصم الآخر.

قوله تعالى : {ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم} أي أننا لا نسأل عنكم، ولا تُسألون عنا؛ كل له عمله؛ وسيجازيه الله به يوم القيامة".[1]

جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : {وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ} ، " احتراس لدفع توهم أن يكون المسلمون مشاركين للمخاطبين في أعمالهم ، و أنّ {وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا} يفيد اختصاص المتكلمين بما

[1] ابن عثيمين محمد بن صالح بن محمد ، تفسير الفاتحة و البقرة ، دار ابن جوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط1 / 1423هـ، ج2 / ص99 .

عملوا ، مع الاشتراك في أعمال الآخرين و هو نظير عطف قوله تعالى : {وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ }".[1]

_ ضرب يأتي في نهاية الكلام كقوله تعالى : ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾

[الاحقاف : 19]

تتحدّث الآية الكريمة عن منزلة خاصة بكل فريق أي المؤمنين بالله و اليوم الآخر ، و فريق الكفار ، و كل منهما يجزى بما عمل في الدّنيا من خير أو شر .قال أبو السعود في تفسيره : " {وَلِكُلّ} من الفريقينِ المذكورينِ {درجات مّمَّا عَمِلُواْ} مراتبُ من أجزيةِ ما عملوا من الخير والشرِّ والدرجاتُ غالبةٌ في مراتبِ المثوبة".[2]

جاء فن الاحتراس في قوله تعالى :{ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ } ، "احتراس منظور فيه إلى توفية أحد الفريقين ، و هو الفريق المستحق للعقوبة ، لئلا يحسب أنّ التوفية بالنسبة إليهم أن يكون الجزاء أشد مما تقتضيه أعمالهم ".[3]

---

[1] ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد التونسي ، التحرير و التنوير " تحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 هـ ، ج1 / ص 747 .

[2] أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " تفسير أبي السعود "، دار المصحف – مكتبة و مطبعة عبد الرّحمان محمد ، القاهرة ، د.ط ، د.ت، ج8 / ص84.

[3] ينظر : المصدر السابق ، ج26 / ص41 .

بعد اطّلاع البلاغيون على مواضع الاحتراس في القرآن الكريم ، و التأمل فيها قسّموا الاحتراس إلى أربعة أقسام و هي : [1]

أ) – **الاحتراس الضدي** : يكون فيه لفظ الاحتراس ضد لفظ المحترس منه. كما جاء في قوله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ **[الفتح : 29]**

فالآية الكريمة جاءت واصفة للنبي عليه الصلاة والسلام و أصحابه بصورة جميلة . و قد جاء الاحتراس في قوله تعالى : {رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ}، لكي لا يقع في بعض النفوس من أن هؤلاء المؤمنين يتصفون بالقساوة في التعامل . فدفع هذا الإيهام بالإحتراس بقوله تعالى : {رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ}. " فلو اكتفى بقوله : {أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ }لربّما أوهم الفظاظة و الغلظة فيما بينهم ،فكمّل بقوله : {رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ} رفعا لذلك الوهم " . [2] و لم يذكر الشّيخ الطّاهر بن عاشور الاحتراس في هذه الآية الكريمة .

قال الشيخ ابن عاشور : " و في الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة و الرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم و حكمة عقولهم ، و أنهم يتصرفون في أخلاقهم

[1] ينظر هذا التقسيم والتمثيل له في : أحمد فتحي رمضان و عدنان عبد السلام الأسعد ، الاحتراس في القرآن الكريم : دراسة بلاغية ، آداب الرافدين ، كلية الآداب جامعة الموصل ، العراق ، أفريل / 1430 هـ ، العدد (54) ، ص12-28.

[2] الشافعي محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري ، تفسير حدائق الروح و الريحان في روابي القرآن ، تحقيق : هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة ، بيروت ، ط01 / 1421 هـ ، ج 27 / ص327 .

و أعمـالهم تصـرف الحكمـة و الرشـد فـلا تغلـب علـى نفوسـهم محمـدة دون أخـرى ، ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة و عدم الرؤية " . [1]

ب) – الاحتراس التكميلي :

يكون فيه لفظ الاحتراس مكمّلا و متمما للمعنى. و مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٤٤﴾ **[هود : 44]**

تعـد الآيـة الكريمـة تكمـيلا لمشـهد الطوفـان الـذي حـلّ بمـن في الأرض في عهـد نـوح عليـه السـلام ، حـين عصـاه قومـه و اتبعـوا الكفـر و الضـلال . فقـد أهلكهـم الله سـبحانه و تعالى ، و أنجى نوحًا عليه السلام و من معه في السفينة .

و جاء أسلوب الاحتراس في قوله تعالى :{ وَقِيـــلَ بُعۡـــدٗا لِّلۡقَـــوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِـــينَ } ، نجد فيه خاتمة تم بها عقد منفعة و تمام الفائدة هذه الآية الكريمة ، فإن الله عزّ وجل لما أخبر بهلاك من على الأرض من الكافرين أعقبه بالدعاء على الهالكين ، وهذه جملة دعائية لا يخفى ما أدته عن طريق الاحتراس من الدلالة على عموم هلاك الكفرة بل على "عموم هلاك من على الأرض ما عدا أهل السفينة ".[2]

قال محيي الدّين درويش :" و قيل : {وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ } دون أن يقال : ليبعد القوم ، طلبا للتأكيد مع الاختصار و هو نزول (بعدا) منزلة ليبعدوا بعدا ، مع فائدة أخرى و هي استعمال اللام مع(بعدا) الدّال على معنى أن البعد يحق لهم "[3]. ووصف سبحانه و تعالى المغرقين

---

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج 26 / ص205 .

[2] الألوسي شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 / 1415 هـ ، ج 12 / ص260 .

[3] ينظر : المصدر السابق ، ج 12 / ص82 .

بالظلم " ليعلم أن جميع من هلك كان مستحقا للعذاب مستأهلا له ، احتراسا من ضعيف يتوهم أن الهلاك بعمومه قد شمل من لا يستحق العذاب. فلما دعا على الهالكين ووصفهم بالظلم علم أن كل من هلك كان مستحقا للهلاك لأنه قد ثبت بالبرهان أنه عادل فلا يدعو إلا على من يستحق الدعاء".[1]

ج) – الاحتراس التهكمي :

أن يكون في لفظ الاحتراس تهكم و سخرية ، كما في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ **[الغاشية : 1–7]**

تصف الآية الكريمة أهوال يوم القيامة وتصف وجوه الكفار يومئذ وطعامهم، و الطعام الضريع هو : " يَابِسُ الشِّبْرِقِ (بِكَسْرِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ)وَهُوَ نَبْتٌ ذُو شَوْكٍ إِذَا كَانَ رَطْبًا فَإِذَا يَبِسَ سُمِّيَ ضَرِيعًا وَحِينَئِذٍ يَصِيرُ مَسْمُومًا وَهُوَ مَرْعًى لِلْإِبِلِ وَلِحُمُرِ الْوَحْشِ إِذَا كَانَ رَطْبًا، فَمَا يُعَذَّبُ بِأَهْلِ النَّارِ بِأَكْلِهِ شُبِّهَ بِالضَّرِيعِ فِي سُوءِ طَعْمِهِ وَسُوءِ مَغَبَّتِهِ."[2] و قد يوهم عند وصف أكل أهل النار من ضريع أنه قد يسمن أو إن لم يسمن يشبع به آكله . أي أن الاحتراس جاء في قوله تعالى: { لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ } ، ليدفع هذا التوهم ، " أي ليس من شأنه الإسمان والإشباع ، كما هو شأن طعام الدنيا" [3] .ولم يذكر الشّيخ الطّاهر بن عاشور فن الاحتراس في الآية الكريمة .

فالآية الكريمة أسهمت في وصف أهل النّار و أكلهم الذي عند تناوله لا يؤدي إلى شبع و لا يوقف ألم الجوع ،"و وصف الضريع بأنه لا يسمن و لا يغني من جوع لتشويهه و أنه تمحض للضر،

[1] محيي الدين درويش مصطفى بن أحمد ، إعراب القرآن و بيانه ، دار اليمامة ، بيروت ، ط 03 / 1412 هـ ، ج4 / ص363.

[2] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج 30 / ص297 .

[3] أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 09 / ص 149 .

فلا يعود على آكليه بسمن يصلح بعض ما التفح من أجسادهم ، ولا يغني عنهم دفع ألم الجوع ، و لعلّ الجوع من ضروب تعذيبهم فيسألون الطعام فيطعمون الضريع فلا يدفع عنهم ألم الجوع".[1]

د) – الاحتراس المترقي :

و يكـون فيـه لفـظ الاحـتراس مترقيـا عـن لفـظ المحـترس منـه و أعلـى درجـة ،كمـا جـاء في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ **[آل عمران : 134]**

جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : { وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ} ، حيث أن الآية الكريمة بأكملها جاءت حاملة لثلاث صفات يتصف بها المؤمن ليصل إلى أعلى درجة الإحسان . فأولها : الإنفاق في السراء و الضراء . و ثانيها : كظم الغيظ : الذي هو من الصبر. و ثالثها : العفو عن الناس بعد الأذى ، و هذه الأخيرة جاءت مكملة على سبيل الاحتراس ، في دفع التوهم الحاصل من أن الإنسان ربما يكظم غيظه و لكنه لا يعفو ، بل قد ينتقم يوما ما ، فجاء بالصفة الثالثة على سبيل الترقي عن طريق فن الاحتراس لتدفع ذلك التوهم .و كظم الغيظ وحده لا يكفي ليرتقي به المؤمن إلى درجة الإحسان لذلك جاء الاحتراس، " لأن كظم الغيظ قد تعترضه ندامة ، فيستدعي على من غاظه بالحق . فلما وصفوا بالعفو عمن أساء إليهم دلّ ذلك على أنّ كظم الغيظ وصف متأصل فيهم ، مستمر معهم . وإذا اجتمعت هذه الصفات في نفس سهل ما دونها لديها "[2]. و بجماع كل تلك الصفات المذكورة سابقا "و بجماعها يجتمع كمال الإحسان و لذلك ذيّل الله

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج30 / ص297 .

[2] ينظر : المصدر نفسه، ج04 / ص91 .

تعالى ذكرها بقوله :{ وَٱللَّهُ يُحِـــبُّ ٱلْمُحْسِـــنِينَ } لأنّه دال على تقدير أنهم بهذه الصفات محسنون و الله يحب المحسنين" [1] .

ويبدو أن هذه الأقسام إنما هي باعتبار الدّلالة ، و عند النظر يتضّح أن كلا منها سيكون إما وسط الكلام أو نهايته .

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج04 / ص 91 .

المبحث الثاني : الفرق بين أسلوب الاحتراس و بعض الأساليب البلاغية الأخرى

قد يشتبه أسلوب الاحتراس ببعض الأساليب البلاغية الأخرى كالتتميم والتكميل والتذييل والاعتراض وغيرها، ولدقة ولطف التفريق في المعنى بينها، أشكل ذلك على بعض البلاغيين، في حين وفق آخرون في تحديد الفرق وضبط كل مصطلح بما يدل عليه.

أولا : التكـــــميـــل

التكميل لغـــة :

جاء في لسان العرب : " الكَمَال: التَّمام، وَقِيلَ :التَّمام الَّذِي تَجَزَّأَ مِنْهُ أَجزاؤه، وَفِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ :كَمَلَ الشَّيْءُ يَكْمُل، وكَمِلَ وكَمُلَ كَمَالًا وكُمولًا، (...)، وتَكَمَّل :ككَمَل. وتَكَامَلَ الشَّيْءُ وأَكْمَلْته أَنا وأَكْمَلْت الشَّيْءَ أَي أَجْمَلْتُه وأَتممته، وأَكْمَلَه هُوَ واسْتَكْمَلَه وكَمَّلَه :أَتَمَّه وجَمَلَه " [1].

اصطلاحا :

عرّفه الخطيب القزويني قائلًا : " التكميل : و هو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه "[2] . فالتعريف الذي قدّمه الخطيب القزويني نظير و مشابه لأسلوب الاحتراس و لهما نفس المعنى و لا فرق بينهما . لأن التكميل يتمّم المعنى لكي لا يكون فيه نقص أو وهم ، أي أنه يعمل عمل أسلوب الاحتراس .

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج 11 / ص 598 .

[2] الخطيب القزويني أبو المعالي جلال الدّين محمد بن عبد الرحمان بن عمر الشافعي ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط 03 / 1419 هـ ، ص 202 .

و هنـاك مـن عرّفـه قـائلًا : أنّ " الاحـتراس أو التكميـل : اسمـان أطلقـا علـى مسـمّى واحد ، وهو زيادة إطنابية في الكلام يدفع بها المتكلم إيهاما و اشتمل عليه كلامه"[1].

و قـال بهـاء الـدّين السـبكي : " التكميـل و يسـمّى الاحـتراس أيضـا ،و وهـو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك التوهم "[2].

إن التعـاريف المقدّمـة كلهـا تبـين أن التكميـل هـو أسـلوب مشـابه تمامـا لأسـلوب الاحتراس و لا فرق بينهما .

و قـد جـاء فـن التكميـل في عـدّة آيـات مـن القـرآن الكـريم ، ومـن أمثلـة علـى ذلـك قوله تعالى :{ تِلْـــكَ عَشَـــرَةٌ كَامِلَـــةٌ } [البقرة: 196] " فيفيد التحريض على الإتيان بصيام الأيام كلها لا ينقص منها شيء ، مع التنويه بذلك الصوم وأنه طريق كمال لصائمه، فالكمال مستعمل في حقيقته و مجازه ". [3]

و كذلك في قوله تعالى : {حَـــوْلَيْنِ كَـــامِلَيْنِ}، " التأكيد بصفة الكمال لبيان أنّ التقدير تحقيقيٌّ لا تقريبيٌّ مبني على المسامحة المعتادة ". [4]

---

[1] الميداني عبد الرحمان بن حسن حبنكة الدّمشقي ، البلاغة العربية ، دار القلم ،دمشق ، ط1 / 1416 هـ ، ج2/ ص84 .

[2] السبكي بهاء الدّين أبو حامد بن علي الكافي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق : الدّكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 / 1423 هـ ، ج1 / ص613 .

[3] ابن عاشور : ، التحرير و التنوير ، ج1 / ص229 .

[4] أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 01 / ص 230 .

و في موضع آخر قوله تعالى : {ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣} [النور : 03] . " وجملة { وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ } تكميل المقصود بين الجملتين قبلها ، و هو تصريح بما أريد من تفظيع نكاح الزانية و ببيان الحكم الشرعي في القضية " .[1]

و قوله عزّ وجل : {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩} [الإنسان : 09] ، " و جملة {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ } في محل نصب على الحال بتقدير القول أي يقولون بلسان المقال أو بلسان الحال ، أو قائلين إنّما نطعمكم يعني أنّهم لا يتوقعون المكافأة و لا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك ، و هذا الوصف من باب التكميل ، فقد وصفهم أولاً بالجود و البذل و كمله بأنّ ذلك عن إخلاص لا رياء فيه ".[2]

إلّا أنّ هناك من البلاغيين من اجتهد في تبيان الفرق بين كل من التكميل والاحتراس . حيث أنهم رأوا أن التكميل مغاير تماما للاحتراس ، مثل ابن أبي الأصبع المصري، فقد عرّف كلا من الاحتراس و التكميل و فرّق بينهما ، فقال إنّ الاحتراس : "وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل ، فيفطن له ، فيأتي بما يخلصه من ذلك ".[3]

---

[1] ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج 18 / ص157 .

[2] صديق حسن خان أبو الطيب محمد بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوَّجي ، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1/ 1412هـ ، ج14 / ص464.

[3] ابن ابي الأصبع المصري عبد العظيم بن الواحد بن طاهر البغدادي العدواني ، تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ، تقديم و تحقيق : حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ط1 / 1383 هـ ، ج 2 ، ص 245 .

امّـا التكميـل فقـال عنـه: " هـو أن يـأتي المـتكلم أو الشّـاعر بمعـنى مـن معـاني المـدح و غـيره مـن فنـون إذا لشـعر و أغراضـه ، ثم يـرى مدحـه بالاقتصـار علـى ذلـك المعـنى فقـط غـير كامل . فيكمّله بمعنى آخر ".[1]

أمّـا في التفريـق بينهمـا قـال إنّ :" المعـنى قبـل التكميـل صـحيح تـام ، ثم يـأتي التكميـل بزيـادة يكمّـل بهـا حسـنه ، إمـا بفـن زائـد أو بمعـنى ... و الاحـتراس لاحتمـال دخـل علـى المعـنى و إن كان تامّا كاملا و وزن الكلام صحيحا"[2].

و لم يتم الوقوف على من فرق بين كل من الاحتراس و التكميل سواه ، و منه يتبين أن الاحتراس الزيادة التي تكون فيه تكون بهدف اجتناب أي خلل أو خطأ في الفهم. و هذا الذي لا نجده في التكميل ، لأن هذا الأخير، المعنى فيه يكون تامّا صحيحا و الزيادة فيه تكون بهدف الزيادة في الحسن و هو غير أساسي ، أي يمكن الاستغناء عنه . في حين أن الاحتراس أساسي لا يمكن الاستغناء عنه ، لأنّ التخلي عنه يجعل المعنى مختلا و يحدث خطأ في الفهم .

[1] ابن أبي الأصبع المصري : تحرير التحبير في صناعة الشّعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ، ج3 / ص357 .

[2] المرجع نفسه ، ج 1 / ص 245 .

ثـانيـــا : التـتـميم

التـتـميم لغـــة :

جـاء في لسـان العـرب : " تَمَّ الشَّـيْءُ يَـتِمُّ تَمّـاً وتُمّـاً وتَمَامـةً وتَمَامـاً وتِمامـةً وتُمامـاً وتِمامـاً وتُمَّـة، وأَتَمَّـه غَيْـرُهُ وتَمَّمَـه واسْـتَتَمَّه بِمَعَـنًى، وتَمَّمَـه اللَّـهُ تَتْميمـاً وتَتِمَّـةً، وتَمـامُ الشَّـيْءِ وتِمامَتُـه وتَتِمَّتُـه :مَـا تَمَّ بِـهِ .قَـالَ الْفَارِسِـيُّ :تَمـامُ الشَّـيْءِ مَـا تمَّ بِـهِ، بِـالْفَتْحِ لَا غَيْـرَ؛ يَحْكِيـهِ عَـنْ أَبِي زَيْـدٍ .وأَتمَّ الشـيءَ وتَمَّ بِهِ يَتِمُّ :جَعَلَهُ تَامًّا ". [1]

اصطـلاحـــا :

عرّفه الخطيب القزويني فقال :" هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة لنكتة "[2]. كما عرّفه الزركشي قائلا : " هو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمّله إمّا مبالغة أو احترازا أو احتياطا".[3]

جاء فن التتميم في عدّة آيات من القرآن الكريم من بينها مايلي :

قوله تعالى : ﴿وَمَـن يَعْمَـلْ مِـنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِـن ذَكَـرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُـوَ مُـؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِـكَ يَـدْخُلُونَ ٱلْجَنَّـةَ وَلَا يُظْلَمُـونَ نَقِيـرًا ﴿١٢٤﴾﴾ **[النساء : 124]** ، قال الزركشي : "فقوله تعالى : **{ وَهُوَ مُؤْمِنٌ }** تتميم في غاية الحسن" . [4]

و كقوله تعالى : {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾} [النجم : 30]

---

[1] ابن منظور : لسان العرب، ج2 / ص 239 .

[2] الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 212 .

[3] الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج3 / ص 70 .

[4] المرجع نفسه ، ج3 / ص 70 .

قال الشّيخ الطّاهر بن عاشور : " و جملة {وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ} تتميم ، و فيه وعد للمؤمنين و بشارة للنّبي صلّى الله عليه و سلم . و الباء في ب { مَن ضَلَّ} و في ب { مَنِ ٱهْتَدَىٰ} لتعدية صفتي " أَعْلَمُ" و هي للملابسة ، أي هو أشدّ علمًا ملابسًا لمن ضلّ عن سبيله ، أي ملابسًا لحال ضلاله ، و تقديم ذكر " مَن ضَلَّ" على ذكر " مَنِ ٱهْتَدَىٰ " لأنّ الضالين أهم في هذا المقام، و أمّا ذكر المهتدين فتتميم ". [1]

إن التعريف الاصطلاحي الذي قدّمه الزركشي يبيّن أنّ هناك علاقة بين كل من التتميم و الاحتراس (الاحتراز) ، حيث أن الموقع الذي يكون فيه التتميم قد يكون فيه دلالة على الاحتراس. و قد أكد ذلك بن رشيق القيرواني بقوله : " باب التتميم ، و هو التّمام أيضا ، و بعضهم يسمّي ضربا منه احتراسا و احتياطا " [2] .

ومثال لذلك ببيت لـ(طرفة بن العبد):

" **فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَبِيْعِ وَدِيْمَةٌ تَهْمِيْ**

لأن قوله : " **غير مفسدها** " تتميم للمعنى ، و احتراس الدّيار من الفساد بكثرة المطر" .[3]

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج27 / ص 119 .

[2] ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن الأزدي ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تحقيق : محمد محيي الدّين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط05 /1401 هـ ، ج2 / ص50 .

[3] المرجع نفسه ، ج2 / ص50 .

و في المقابل هناك من فرّق بين كل من التتميم و الاحتراس ، و رأى أنّ الاحتراس مغاير تماما للتتميم و لا توجد علاقة بينهما . منهم ابن أبي الأصبع المصري فقال : " التتميم يأتي ليتمّم نقص المعنى و نقص الوزن معا ، و الاحتراس لاحتمال دخل على المعنى ، و إن كان تامّا كاملا ، و وزن الكلام صحيحا"[1].

فقول ابن أبي الأصبع يبيّن أنّ هناك فرقًا بين التتميم و الاحتراس و هو :

- أنّ الاحتراس يكون لدفع التوهم في الكلام ، عكس التتميم الذي لا يكون لدفع التوهم في الكلام .
- الكلام قبل الاحتراس تام غير ناقص ، بينما هو قبل التتميم ناقص فيأتي ليتمّمه.

وفي التفريق بين الثلاثة (الاحتراس والتتميم والتكميل) قال :" الفرق بين الاحتراس و التكميل و التتميم ، أنّ المعنى قبل التكميل صحيح تام ، ثمّ يأتي التكميل بزيادة يكمّل بها حسنه، إمّا بفن زائد أو معنى ، والتتميم يأتي لتتميم نقص المعنى و نقص الوزن معا . و الاحتراس لاحتمال دخل على المعنى و إن كان تامّا كاملا ووزن الكلام صحيحا"[2].

فمن هذا القول يتضّح أنّ هناك فرقًا بين الاحتراس و التكميل و التتميم ، وأنّ هذه المصطلحات ليست بمعنى واحد، و إن وُجد تشابه بينها فهو جزئي كالذي ذكره الزركشي و ابن رشيق بين الاحتراس و التتميم. وفي المحصلة فهي جميعها تشترك في كونها تتقصد إبلاغ المعنى كما يريده المتكلم، فلا ينحرف عن المقصود او يشتبه على السامع.

[1] ابن أبي الأصبع العدواني : تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ، ج1 ، ص245 .

[2] المرجع نفسه ، ج2/ص245 .

ثــالثــا : التـــــذييل

التـذيــيل لغــة :

جاء في لسان العرب : " ذيل :الذَّيْل: آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ .وذَيْل الثَّوْبِ والإِزارِ :مَا جُرَّ مِنْهُ إِذا أُسْبِل .والذَّيْل :ذَيْلُ الإِزار مِنَ الرِّداء، وَهُوَ مَا أُسْبِل مِنْهُ فأَصاب الأَرض. وذَيْل المرأَة لِكُلِّ ثَوْبٍ تَلْبَسه إِذا جرَّته عَلَى الأَرض مِنْ خَلْفِهَا".[1]

و جاء في الصّحاح :" الذَيْلُ :واحد أَذْيالِ القميص وذيولِهِ .وذَيْلُ الريح :ما انسحَبَ منها على الأرض. وذالَتِ المرأة تَذيلُ، أي جرَّت ذيلَها على الأرض وتبخترتْ " .[2]

اصطـلاحـا :

عرّفه الخطيب القزويني فقال :" هو تعقيب جملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيدا لمنطوقها أو لمفهومها ".[3] كما جاء في قوله تعالى : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾

[البقرة : 202]

فقوله تعالى : { وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ} ،" تذييل قصد به تحقيق الوعد بحصول الإجابة ، وزيادة تبشير لأهل ذلك الموقف ، لأنّ إجابة الدّعاء فيه سريعة الحصول ، فعلم أنّ الحساب هنا أطلق على مراعاة العمل و الجزاء عليه " .[4]

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، ج06 / ص 55 .

[2] الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي ، الصّحاح تاج اللّغة و صحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 / 1407 هـ ، ص1702 .

[3] الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ج3 ، ص205 .

[4] ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج1 / ص249 .

و قد عرّفه السيوطي قائلا : " هو أن يؤتى بجملة عقب جملة ، و الثانية تشتمل على معنى الأولى لتأكيد منطوقه أو مفهومه ، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه و يتقرر عند من فهمه " [1]. فيتضّح ممّا سبق أنّ التذييل يرد جملة و ليس كلمة فقط .

و قد ذكر فن التذييل " الباقلاني " فقال : " و باب آخر من البديع يسمّى " التذييل " ، وهو ضرب من التأكيد " [2] .

و ذكره الشيخ بن عاشور في كتاب تفسيره " التحرير و التنوير " ، و بيّن أسبابه من بينها : التحذير و التوبيخ ، التعليل ، الزيادة في التذكير ، البشارة ..... إلخ . و من أمثلة على بعض الأسباب ما يلي :

قال تعالى : ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾[**البقرة : 205]** " و هذا جار مجرى المثل ، و قيل الحرث و النسل هنا إشارة إلى ما صنع الأخنس بن شريق* ، و أيًّا ما كان فالآية دالة على أنّ من ينتسب في مثل ذلك صريحا أو كناية مستحق للعقاب في الآخرة و لذلك عقب بجملة التذييل و هي : **{ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ }** تحذيرا و توبيخا " .[3]

---

[1] السيوطي جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 / 1408 هـ ، ج1 / ص 279 .

[2] الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن للباقلاني ، تحقيق : السيّد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط05 / 1997 م / ص 102 .

* اسم الأخنس أُبَي بن شريق بن عمرو بن وهب وهو من بني غِيَرَة بن عوف بن ثقيف، وهو حليف بني زُهرة بن كلاب، وإنما لقِّب الأخنس لأنه خنس ببني زهرة يوم بدر فلم يشهدها منهم أحد مع المشركين. وذكر ابن عطية عن السدي أن الأخنس جاء إلى النبي صلّى الله عليه و سلم فأظهر الإسلام ،ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق لهم زرعا وقتل حمرا . ينظر : ابن الأثير مجد الدّين أبو السعادات ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ج12 / ص186.

[3] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج2 / ص 270 .

و كذلك قوله تعالى :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾

[النور : 21]

قال الشيخ الطّاهر بن عاشور : " و قوله : { وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } تذييل بين الوعد و الوعيد ، أي سميع لمن يشيع الفاحشة ، عليم بما في نفسه من محبّة إشاعتها ، و سميع لمن يُنكر على ذلك ، عليمٌ لما في نفسه من كراهة ذلك فيجازي كلًّا على عمله ، و إظهار اسم الجلالة فيه ليكون التذييل مستقلًا بنفسه لأنّه ممّا يجري مجرى المثل ". [1]

و قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ مِنۡهُ ءَايَـٰتٞ مُّحۡكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران : 07] ، " و جملة {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ } تذييل ، ليس من كلام الرّاسخين ، تسوق مساق الثناء عليهم في اهتدائهم إلى صحيح الفهم ". [2]

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج18 / ص188 .

[2] ينظر : المصدر نفسه ، ج3 / ص169 .

و يأتي التذييل بسبب التعليل ، كقوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [**البقرة : 37**] "و قوله : { إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ } تذييل و تعليل للجملة السابقة و هي { فَتَابَ عَلَيۡهِۚ } ، لأنّه يفيد مفادها مع زيادة التعميم و التذييل من الإطناب كما تقرر في علم المعاني ".[1]

و قوله تعالى : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة : 111] ، " و جملة { وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ } تذييل جامع ، فإنّ اسم الإشارة الواقع في أوّله جامعٌ لصفات ذلك البيع بعِوَضَيْهِ ، و أُكِدَّ بضمير الفصل و بالجملة الاسمية و الوصف ب {ٱلۡعَظِيمُ } المفيد للأهمية ".[2]

و قد يكون السبب للترغيب في أمر ما ، مثل الحث على العفو و الترغيب فيه ، كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٧﴾ [**البقرة : 237**] . فسّر الشّيخ الطّاهر بن عاشور الآية الكريمة ، و أشار إلى التذييل فقال : " و قوله : وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ، تذييل أي العفو من حيث هو ، و لذلك حذف المفعول ، و الخطاب لجميع الأمّة ، و جيء بجمع المذكر للتغليب ، و ليس خطابًا للمطلقين ، و إلّا شُمِل عفو النساء مع أنّه كله مرغوب فيه ، و من الناس من استظهر بهذه الآية على أنّ المراد بالذي بيده عقدة النكاح المطلق (...). و قوله : وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 / ص439 .

[2] ينظر : المصدر نفسه ، ج11 / ص40 .

بَيْنَكُمْ ، تذييل ثان ، معطوف على التذييل الذي قبله ، لزيادة الترغيب في العفو بما فيه من التفضّل الدنيوي ، و في الطّباع السليمة حب الفضل".[1]

و في قوله تعالى : { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّصِرِينَ ﴿٥٦﴾} [آل عمران : 56] ، " و جملة {مَا لَهُم مِّن نَّصِرِينَ } تذييل لجملة { فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ } أي لا يجدون ناصرين ينصرونهم علينا في تعذيبهم الذي قدّره الله تعالى ".[2]

و الاحتراس و التذييل و إن كانا فنيين من فنون الإطناب إلّا أنّهما يختلفان أو يفترقان في :

- أن التذييل يأتي فقط في جملة ، عكس الاحتراس الذي قد يكون في جملة ، أو كلمة .
- التذييل يأتي لتأكيد المعنى ، أمّا الاحتراس فيأتي لدفع الإيهام .
- التذييل يتصل بما تقدّم من الكلام ، أمّا الاحتراس فلا يكون بمعنى الأول و إن اتصل به معنى فيأتي لتوضيح المعنى و منع الوقوع في الخطإ .
- التذييل يكون عن طريق المنطوق أو المفهوم ، أمّا الاحتراس فيكون عن طريق المنطوق.

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج2 / ص 464 .

[2] ينظر : المصدر نفسه ، ج03 / ص261 .

رابـعــا : الاعـتـــراض

الاعـتراض لغـــة :

جاء في لسان العرب في مادة " عرض " : " وعَرَضَ الشيءُ يَعْرِضُ واعترَضَ :انتَصَبَ ومَنَعَ وَصَارَ عارِضاً كالخشَبةِ المنتصبةِ فِي النَّهْرِ وَالطَّرِيقِ وَنَحْوِهَا تَمْنَعُ السَّالِكِينَ سُلوكَها .وَيُقَالُ :اعتَرَضَ الشيءُ دُونَ الشيءِ أَي حَالَ دُونَهُ .واعتَرَضَ الشيءَ :تَكَلَّفَه" .[1]

اصطـــلاحا :

عرّفه الخطيب القزويني فقال :" هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة " [2] سوى دفع الإيهام.

و قد عرّفه ابن الأثير بقوله : " و بعضهم يسمّيه الحشو وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب ، لو سقط لبقي الأول على حاله "[3].

ورد أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم ، "كالتنزيه في قوله تعالى : { يَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ } . فإنّ قوله : { سُبْحَٰنَهُۥ } جملة معترضة لكونها بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام ، لأنّ قوله : { وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ }،عطف على قوله عزو جل : { لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ } ، و النكتة فيه تنزيه الله عمّا ينسبون إليه ".[4]

---

[1] ابن منظور : لسان العرب، ج10 ، ص 100 .

[2] الخطيب القزويني : التلخيص في علوم البلاغة ، ص231 .

[3] ابن الأثير ضياء الدّين نصر الله بن محمد ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق : أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ج3 ، ص 40 .

[4] الجرجاني الشريف علي بن محمد بن علي الزين ، كتاب التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 / 1403 هـ ، ص31.

إنّ أسلوب الاعتراض له أغراض بلاغية مختلفة و متعددة التوبيخ ، المدح ، الذم ، الدّعاء و الثناء ... إلخ . قال تعالى : ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ **[البقرة : 142 / 143]**

فقوله تعالى :{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا } "اعتراض بين كلامين متّصلين وقعا خطابا له صلى الله عليه و سلم استطرادا لمدح المؤمنين بوجه آخر ، و تأكيدا لرد الإنكار بأنّ هذه الأمة و أهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء ، و شهادتهم مقبولة عندكم ، فأنتم إذن أحق بإتّباعهم و الاقتداء بهم ، فلا وجه لإنكارهم عليهم " [1] ، فالمتضح من الآية الكريمة أنّ غرضها البلاغي هو المدح .

و في موقع آخر لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ **[النّحل : 101]**

فقوله : { وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} اعتراض و يكمن الغرض منه في توبيخ الكافرين ، وأكدّ هذا الألوسي قائلا :" و الجملة المعترضة لتوبيخ الكفرة ، و التنبيه على فساد رأيهم ، و في الالتفات إلى الغيبة مع الإسناد إلى الاسم الجليل مالا يخفى من تربية المهابة ، و تحقيق معنى الاعتراض ".[2]

[1] الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، ج2 / ص 3 .

[2] المرجع نفسه ، ج 14 / ص23 .

و قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾ [محمد : 02]

قال الشيخ الطّاهر بن عاشور : " و زيد في جانب المؤمنين التنويه بشأن القرآن بالجملة المعترضة قوله : { وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ } و هو نظير لوصفه بسبيل الله في قوله : {وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ } " .[1]

كذلك قوله تعالى : {قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ۝٧٣} [يوسف : 73] ، " { لَقَدۡ عَلِمۡتُم} اعتراض و المراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة ".[2]

و اعتراض بقصد التأكيد ، كقوله تعالى :﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة : 75 -76] ، "... و فيها اعتراضان ، فإنّه اعترض بقوله : {وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ } بين القسم و جوابه و اعترض بقوله : {لَّوۡ تَعۡلَمُونَ} بين الصفة و الموصوف ، و المراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم و تأكيد إجلاله في النّفوس لا سِيَّما بقوله : {لَّوۡ تَعۡلَمُونَ}".[3]

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج26 / ص74 -75 .

[2] الزركشي : البرهان في علوم القرآن، ج03 / ص57 .

[3] المرجع نفسه ، ج03 / ص58 .

إنّ الاعتراض من أنواع الإطناب كذلك كما أنّه يحدث خلط بينه و بين أسلوب الاحتراس ، فالفرق بينهما يتمثل في :

- يختلفان في الغرض البلاغي ، لأنّ الاحتراس يكون لدفع الإيهام ، عكس الاعتراض الذي له نكت بلاغية كثيرة (كالدّعاء ، الثناء ، المدح و الذم ...) ، سوى دفع الإيهام .
- الاحتراس يأتي وسط الكلام أو آخره ، أمّا الاعتراض يأتي أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين معنى .
- الاحتراس أساسي لا يمكن الاستغناء عنه فبدونه يفهم المقصود خطأ ، أمّا الاعتراض يمكن الاستغناء عنه ، و يصّح المعنى بدونه .
- الاحتراس يكون جملة لها محل من الإعراب و جملة لا محل لها من الإعراب، و يكون كذلك دون الجملة ، عكس الاعتراض الذي يشترط أن يكون في جملة لا محل لها من الإعراب فقط .

الفصل الثاني

بلاغة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم

الـفـصـل الـثـانـــي : بـلاغـة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم :

وقع فن الاحتراس في عدّة آيات من القرآن الكريم ، و ذكرها الشّيخ الطّاهر بن عاشور في تفسيره " التحرير و التنوير " . فمن بين هذه الآيات ما يلي :

الـــمثـــال الأول :

قال تعالى : ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة : 25]

جاءت الآية الكريمة واصفة لنعيم الجنّة ، و ما أعدّه الله عزّ وجل فيها للمتّقين . فقد أعدّ لهم مالا عين رأت ، و لا أذن سمعت ،و لا خطر على قلب بشر .

ووقع فن الاحتراس في قوله تعالى : { وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ، لكي لا يتوهم القارئ أنّ نعيم الجنة له زمن محدّد و ينقطع . فدفع هذا التوهم و ذلك اللبس بقوله عزّ وجل : { وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، " احتراس من توهم الانقطاع بما تعوّدوا من انقطاع اللّذات في الدّنيا ، لأنّ جميع اللّذات في الدّنيا معرّضة للزوال " .[1]

و وضّح الرازي هذا الاحتراس بقوله :" العقل يدل على دوامه ، لأنّه لو لم يجب دوامه لجوّزوا انقطاعه، فكان خوف الانقطاع ينغّص عليهم تلك النعمة ، لأنّ النعمة كلّما كانت أعظم كان خوف انقطاعها أعظم وقعا في القلب ".[2]

و قال القمي النيسابوري : " ثم زال عنهم نقص الزوال بقوله وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إتماما للنعمة و الحبور و تكميلا للبهجة و السرور ".[3]

---

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 / ص358 .

[2] الرازي فخر الدّين خطيب الرّي أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، ط3 / 1420 هـ ، ج2 / ص360 .

[3] النيسابوري نظام الدّين الحسن بن محمد بن حسين القمي ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، تحقيق : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط1 / 1416 هـ ، ج1 / ص198 .

فيتضح ممّا سبق وقوع فن الاحتراس في الآية الكريمة ، و أنّ نعم الجنّة دائمة و ليست معرّضة للزوال .

الـــمـثـال الثانـــي :

قال تعالى : ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ [البقرة : 100 / 101]

جاءت الآية الكريمة متحدّثة عن قبائح اليهود ، وقد جاءت تسلية للنبي صلّى الله عليه و سلم عمّا لقي منهم ، " و أنّ ما أنزل إليه لا يكذّب به إلاّ من لا يؤبه بتكذيبه ، لكون هذا المنزل دلائل واضحة لا تقصر عن إقناعهم بأحقّيتها ، و لكنّهم يظهرون أنفسهم أنّهم لم يوقنوا بحقيتها ".[1]

ووقع فن الاحتراس في قوله تعالى : { فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ} ، و قد صرّح بذلك الشيخ الطّاهر ابن عاشور فقال : " و أسند النبذ إلى فريق إمّا باعتبار العصور التي نقضوا فيها العهود كما تؤذن به (كلّما) أو احتراسا من شمول الذم للذين آمنوا منهم ، و ليس المراد أنّ ذلك الفريق قليل منهم ، فنبّه على أنّه أكثرهم بقوله { بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ } ، و هذا من أفانين البلاغة ، و هو أن يظهر المتكلم يوفى حق خصمه في الجدال ، فلا ينسب له المذمة إلّا بتدرج و تدبر قبل الإبطال .و لك أن تجعلها للانتقال من شيء إلى ما هو أقوى منه في ذلك الغرض ، لأنّ النبذ قد يكون بمعنى عدم العمل دون الكفر، و الأول أظهر ".[2] فمن قول الشّيخ الطّاهر بن عاشور يتبين أنّ الاحتراس في هذه الآية الكريمة إنّما هو أحد الاعتبارين .

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 / ص624 .

[2] ينظر : المصدر نفسه ، ج1 / ص625 .

و قول البيضاوي في تفسيره : " وإنما قال فريق لأن بعضهم لم ينقض بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ رد لما يتوهم من أن الفريق هم الأقلون، أو أن من لم ينبذ جهاراً فهم مؤمنون به خفاء".[1]

يتبيّن ممّا سبق وقوع فن الاحتراس في الآية الكريمة ، كما أنّه أسهم في توضيح أنّ الحكم لم يعمم على اليهود عامة ، بل على طائفة استثنائية .

المثال الثالث :

قال تعالى : ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾

[البقرة :105]

تتحدث الآية الكريمة عن الحقد و الغل الذي يحمله اليهود في قلوبهم اتجاه الرّسول صلى الله عليه و سلم .

كما جاء في الآية الكريمة فن الاحتراس في قوله تعالى : { وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ } ، فلمّا ذكر الباري عزّ وجل أنّ المؤمنين محسودون على ما أتاهم الله من فضله ، من قِبل أهل الكتاب ، قد يتوهم متوهم أنّ المشركين لا يحسدونهم على ما أنزل الله عزّ وجل عليهم . فجاء الاحتراس لدفع هذا التوهم، و إثبات أنّ المشركين يحسدون أهل الإيمان كذلك .

[1] البيضاوي أبو سعيد ناصر الدّين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، تفسير البيضاوي ' أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، تحقيق:محمد عبد الرحمان المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، ط1 / 1418 هـ ، ج1 / ص97 .

قال الشيخ الطّاهر بن عاشور : " و لما كان ما اقتضاه الحال من التعبير بقوله { ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ } قد يوهم كون البيان قيدًا ، و أنّ الكافرين من غير أهل الكتاب لا يحسدون المسلمين ، عطف عليه قوله : { وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ } كالاحتراس ".[1]

يرى أبو حيان الأندلسي أن قوله تعالى " { وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ } جاءت للتأكيد ، فقال:" وَدَخَلَتْ لَا فِي قَوْلِهِ :وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ ، لِلتَّأْكِيدِ ".[2]

لم يسبق لأحد من المفسرين ذكر فن الاحتراس في الآية الكريمة سوى الشيخ الطّاهر ابن عاشور لكنّه لم يجزم به ، و قد بيّن أنّ الاحتراس جاء لئلا يتوهم أنّ المشركين لا يحسدون المؤمنين على ما هم عليه ، فأسهم في زوال ذلك الوهم ، و أنّ المشركين حسدوا النبيّ عليه الصلاة و السلام على النبوّة .

المـثال الرابــع :

قال تعالى : ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾

[البقرة : 120]

في الآية الكريمة يخبر الله عزّ وجل نبيّه عليه أزكى الصلاة و التسليم ، أنّ اليهود و النّصارى لن يرضوا عنه حتّى يتبع ملّتهم الباطلة ، و أمر الله عزّ وجل الرّسول صلّى الله عليه و سلم أن يخبرهم أنّ هدى الله هو الهدى ، و من يضل عن دين الله لن يجد وليا ينصره أو يدافع عنه .

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 / ص653 .

[2] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، البحر المحيط في التّفسير ، تحقيق : صدقي محمد جميل ،دار الفكر ، بيروت ، ط1 / 1420 هـ ، ج1 / 545 .

جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : { وَلَا نَصِيرٍ } ، مؤكدا ذلك الشيخ الطّاهر بن عاشور فقال: " وعطف النّصير على الولي احتراس ، لأنّ نفي الولي لا يقتضي نفي كل نصير إذ لا يكون لأحد ولي لكونه دخيلا في قبيلة و يكون أنصاره من جيرته ".[1]

و قال أبو السعود في تفسيره :" {مِن وَلِىّ} يلي أمرَك عموماً . {وَلَا نَصِيرٍ} يدفعُ عنك عقابَه وحيث لم يستلزم نفيُ الوليِّ نفيَ النصيرِ وُسِّط (لا) بين المعطوفين لتأكيد النفي وهذا باب التهييج والإلهابِ وإلا فأنى يُتوهم إمكانُ اتباعِه عليه السلام لمِلّتهم ".[2]

و هناك من فرّق بين كل من الولي و النّصير فقال : " الفرق بين الولي والنصير، أن الولي هو الذي يدفع المكروه عن الإنسان بنفسه لولايته ومباشرته الدفع، والنصير هو الذي يأمر بدفعه عنه لمناصرته ومعاونته في الدفع، والولي أخص من النصير، إذ قد ينصر من ليس بولي ".[3]

يتضّح ممّا سبق أنّه لو لم يذكر الاحتراس في قوله تعالى : " { وَلَا نَصِيرٍ } ، يتوهم القارئ أنّ عدم الولاية لا ينفي النصرة ، فبالاحتراس اندفع ذلك التوهم .

المـثـال الخـامـس :

قال تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة : 122 / 123]

تتحدث الآية الكريمة في مطلعها عن اليهود ، حيث ذكر الله عزّ وجل النّعم التي أنعمها عليهم للتأكيد ، و هذا في الآية الأولى . أمّا الآية التي تليها ، فقد حذرهم الله عزّ وجل من عذاب يوم

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 / ص695 .

[2] أبو السّعود : إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج1 / ص153.

[3] الشافعي : تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، ج21 / ص386 .

القيامة، بسبب التكذيب برسول الله عليه الصلاة و السلام . و أنّ العذاب المسلّط عليهم مؤكّد لا شافع يشفع لهم ولا نصير ينصرهم .

و يوجد فن الاحتراس في كلتا الآيتين حسب الشيخ الطّاهر بن عاشور فقال : "و التفنن في الكلام تنتفي به سآمة الإعادة مع حصول المقصود من التكرير . و قد حصل مع التفنن نكتة لطيفة ، إذ جاءت الشفاعة في الآية السابقة مسندا إليها المقبولية ، فقدّمت على العدل ، بسبب نفي قبولها ، و نفي قبول الشّفاعة لا يقتضي نفي أخذ الفداء ، فعطف نفي أخذ الفداء للاحتراس . و أمّا في هذه الآية فقدّم الفداء ، لأنّه أسند إليه المقبولية ، و نفي قبول الفداء لا يقتضي نفي نفع الشّفاعة ، فعطف نفي نفع الشّفاعة على نفي قبول الفداء ، للاحتراس أيضًا".[1]

لم يذكر أحد من المفسّرين بوجود الاحتراس في الآيتين الكريمتين ، سوى الشّيخ الطّاهر ابن عاشور . حيث وقع الاحتراس الأول في قوله تعالى : { وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ } ، أمّا الثاني في قوله تعالى : { وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ} . فقد حدث تقديم و تأخير بين كل من العدل و الشّفاعة ، إذ الاكتفاء بالمتقدّم منهما سواء العدل أو الشّفاعة يورث التوهم بأنّ الفداء قد يفيد ، أو شفاعة الصّالحين تفيد ، فنفى الله عزّ وجل ذلك و دفع ذلك التوهم .

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 / ص698 .

المثال السادس :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة : 126]

تضمّنت الآية الكريمة دعاء سيّدنا إبراهيم عليه السّلام ، أنّ من جعل الحرم آمنا على نفسه ، و من دخله يكون آمنًا . و دعا لأهل مكة بالرّزق و الثّمرات ، وكان دعاؤه مخصّصًا لمن آمن بالله و اليوم الآخر ، و من يكفر فيساق إلى عذاب جهنّم .

أشار الشّيخ الطّاهر بن عاشور إلى وجود فن الاحتراس في الآية الكريمة فقال : " و قوله : {ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ} احتراس من أن يغتر الكافر بأنّ تخويله النّعم في الدّنيا يؤذن برضى الله فلذلك ذكر العذاب هنا".[1]

المثال السابــع :

قال تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة : 134]

جاءت الآية الكريمة بعد الآيات التي تضمّنت الثناء على إبراهيم عليه السلام و بنيه ، و كان الخطاب موّجهًا لليهود أي : لا ينفع صلاح آباء الأبناء إذا لم يتبعوا طريقهم ، و أنّ كل نفس مرهونة بما كسبت و لا يحاسب أحد على عمل غيره .

جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : { وَلَا تُسْـَٔلُونَ } ، و أشار الى ذلك الشّيخ الطّاهر بن عاشور في قوله : " و إن جعلت قوله : { وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ } مرادا به الأعمال الذميمة المحيطة

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 / ص717 .

بهم كان قوله : { وَلَا تُسْـَٔلُونَ } إلخ احتراسا و استيفاء لتحقيق معنى الاختصاص أي كل فريق مختص به عمله أو تبعته و لا يلحق الآخر من ذلك شيء و لا السؤال عنه ، أي لا تحاسبون بأعمال سلفكم و إنّما تحاسبون بأعمالكم ".[1]

فالمعنى من ذلك أنّ قوله تعالى : { وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } ، جاءت لما ادّعى اليهود انتسابهم للسابقين من آبائهم و أنبيائهم ظنّا منهم أنّ أعمالهم تنفعهم . و قد نفت الآية الكريمة ذلك، وأنّ لكل أمة ما كسبت ، لأنّه قد يتوهم القارئ أنّ ضلال آبائهم تلحقهم ، فجاء الاحتراس لدفع ذلك التوهم .

قال السّمين الحلبي : " قوله {وَلاَ تُسْأَلُونَ} هذه الجملةُ استئنافٌ ليس إلاَّ، ومعناها التوكيدُ لِما قبلَها، لأنه لما تقدَّم أنَّ أحداً لا ينفعه كَسْبُ أحدٍ بل هو مختصٌّ به إنْ خيراً وإنْ شراً فلذلك لا يُسْأل أحدٌ عن غيره ".[2]

و لم يتم الوقوف عند من ذكر أسلوب الاحتراس في الآية الكريمة سوى الشيخ الطّاهر ابن عاشور .

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 / ص736 .

[2] السّمين الحلبي أبو العباس شهاب الدّين أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم ، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تح : أحمد محمد الخراط ، دار القلم / بيروت ، د. ط / د.ت ، ج2 / ص 134 .

المـثال الثـــامـن:

قال تعالى : ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾ [البقرة : 135]

تبين الآية الكريمة أنّ إبراهيم عليه السّلام ، لم يكن يهوديًا و لا نصرانيًا ، بل كان حنيفًا* مسلمًا و لم يكن من المشركين .

و جاء فنّ الاحتراس في قوله تعالى : { وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ } ، لكي لا يتوهم متوهم أنّ إبراهيم عليه السّلام إن لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ، ربّما كان من المشركين ، فجاء الاحتراس و أبطل ذلك التوهم .

و أشار إلى ذلك الشّيخ الطّاهر بن عاشور فقال : " و قوله : { وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ } جملة هي حالة ثانية من إبراهيم و هو احتراس لئلا يغتر المشركون بقوله { بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ } أي لا نكون هودًا أو نصارى فيتوهم المشركون أنّه لم يبق من الأديان إلّا ما هم عليه لأنّهم يزعمون أنّهم على ملّة إبراهيم ".[1]

و يتضّح ممّا سبق وقوع فن الاحتراس في الآية الكريمة ، و قد أسهم في نفي الشّرك عن إبراهيم عليه السّلام ،و دفع توهم أن يكون مشركًا أو على غير ملّة الإسلام .

* ومعنى الحنيفية هي الملّة المائلة عن الشرك إلى التوحيد ، و إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلمًا ، حنيفًا أي مائلًا عن الشرك ومعرضًا عنه إلى التوحيد و الإخلاص لله عزّ وجل . ينظر : صالح الفوزان بن عبد الله ، شرح الأصول الثلاثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 / 1427 هـ ، ص71.

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 / ص737 .

المثال التاسع :

قال تعالى : ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة : 139]

تضمّنت الآية الكريمة توبيخ اليهود و النّصارى الذين قالوا للنبيّ صلّى الله عليه و سلم و للمؤمنين : {كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ} ، فأتى أمر من الله عزّ وجل لنبيّه أن يجادلهم ويرد عليهم { قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا } . " أتحاجوننا في الله"؟ يعني بقوله":في الله"، في دين الله الذي أمَرَنا أن نَدينه به، وربنا وربكم واحدٌ عدلٌ لا يجور، وإنما يجازي العبادَ عَلى ما اكتسبوا. وتزعمون أنّكم أولى بالله منا، لقدم دينكم وكتابكم ونبيكم، ونحنُ مُخلصون له العبادةَ، لم نشرك به شَيئًا، وقد أشركتم في عبادتكم إياه، فعبد بعضكم العجلَ، وبعضكم المسيحَ، فأنَّى تكونون خيرًا منا، وأولى بالله منا؟ ".[1]

جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : { وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ} ، و أكدّ ذلك الشيخ الطّاهر ابن عاشور فقال : " و تقديم المجرور في {وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا} للاختصاص ، أي لنا أعمالنا و لكم أعمالكم ، فلا تحاجونا في أنّكم أفضل منّا ، و عطف {وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ} احتراس لدفع توهم أن يكون المسلمون مشاركين للمخاطبين في أعمالهم ، و أن لنا أعمالنا يفيد اختصاص المتكلّمين بما عملوا ،مع الاشتراك في أعمال الآخرين ".[2]

و قال أبو حيان الأندلسي : " و هذه الجملة من باب التعريض بالذمّ ، لأنّ ذكر المختص بعد ذكر المشترك نفي لذلك المختص عمّن شارك في المشترك ".[3]

---

[1] الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري جامع البيان ، دار التربية و التراث ، مكة المكرمة ، ط1/ د.ت ، ج3 / ص122 .

[2] ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج1 / ص746 .

[3] أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ، ج1 / ص658 .

فيتضّح ممّا سبق وقوع فن الاحتراس في قوله تعالى : {وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ} ، لدفع توهم أن يكون الخطاب يشمل المسلمين و أنّهم مشاركون لهم في أعمالهم .

المـــثال العـــاشـــر :

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : 110]

تبيّن الآية الكريمة دعوة الله عزّ وجل أهل الكتاب إلى الإيمان الصحيح ، بقوله : { وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ } ، أي بالنبيّ محمد صلّى الله عليه و سلم ، و ما جاء به من الإسلام . و أنّ منهم من كانوا صادقين بإيمانهم .

و قوله عزّ وجل : { وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ } أي هم الذين لم يعملوا بما جاء في كتابهم ، بعد إيمانهم بالنبيّ عليه الصلاة و السّلام و أتباعه .

قال الشّيخ الطّاهر ابن عاشور : " و لما أخبر عن أهل الكتاب بامتناع الإيمان منهم بمقتضى جعل إيمانهم في حيّز شرط (لو) الامتناعية . تعيّن أنّ المراد من بقي بوصف أهل الكتاب ، و هو وصف لا يبقى وصفهم به بعد أن تديّنوا بالإسلام . و كان قد يتوهم أن وصف أهل الكتاب يشمل من كان قبل ذلك منهم و لو دخل في الإسلام . و جيء بالاحتراس بقوله : {مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ } ، أي منهم من آمن بالنبيّ محمد صلّى الله عليه و سلّم فصدق عليه لقب المؤمن ".[1]

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج3 ، ص53 .

جيء بالاحتراس في قوله عزّ وجل : {مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ } ، لإنصاف القلّة المؤمنة التي آمنت من أهل الكتاب و دخلت الإسلام . لأنّه قد يتوهم القارئ أنّ جل أهل الكتاب فسّاق غير مؤمنين و به قد دفع ذلك التوهم . و لم يتّم الوقوف على من ذكر الاحتراس في الآية الكريمة سوى الشّيخ الطّاهر بن عاشور .

المثـال الحــادي عـــشـــر :

قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام : 152]

في الآية الكريمة يوصي الله عزّ وجل عباده عن ما حرّمه عليهم ، أن لا يقربوا مال اليتيم ، إلّا إذا كانت فيه منفعة لليتيم من تربية و تعليم . و أن يقسطوا في الكيل و الميزان و إيفائه ، و أن لا يبخسوا النّاس حقّهم ، فإن أخطأ فلا بأس ، لأنّ الله لا يكلف نفسًا إلّا وسعها .

كمّا وصّى سبحانه و تعالى بالعدل ، ولو كان الشخص قريبًا ، فيجب قول الحق سواءً في الشّهادة أو في الكيل و الميزان .. و أمر الله عزّ وجل عباده بطاعته بما أمر و وصّى .

جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : { لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ } ، و هذا ما أشار إليه الشّيخ الطّاهر بن عاشور فقال : " ظاهر تعقيب جملة : {وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ }إلخ بجملة { لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ } أنّها متعلقة بالتي ولَيْتَهَا فتكون احتراسًا ، أي لا نكلّفكم تمام القسط في الكيل و الميزان بالحبّة و الذّرة و لكنّا نكلّفكم ما تظنون أنّه عدل ووفاء . و المقصود من هذا الاحتراس أن لا يترك النّاس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة ، فيُفضي ذلك إلى تعطيل منافع جمّة ".[1]

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج8 / ص165 .

و قال ابن تيمية : " فذكر أنّه لم يكلف نفسًا إلّا وسعها حين أمر بتوفية الكيل و الميزان بالقسط ، لأنّ الكيل لابدّ له أن يُفضل أحد المِكيلين على الآخر و لو بحبة أو حبّات و كذلك التفاضل في الميزان قد يحصل بشيء يسير لا يمكن الاحتراز منه فقال : { لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } ".[1]

المـثـال الـثـانـي عشـر :

قال تعالى : ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

[الأعراف : 159]

تحدّثت الآية الكريمة عن كثرة عدد قوم موسى عليه السّلام (أمّة) ، و ذكرت أنّ فئة من قوم بني إسرائيل تهدي إلى الحقّ ، الذي جاءهم به موسى عليه السّلام من عند الله سبحانه و تعالى . و أنّهم لا يتبّعون الهوى و لا يأكلون المال الحرام .

جيء بالاحتراس في الآية الكريمة ، و صرّح الشّيخ الطّاهر بن عاشور فقال : " ومن قوم موسى عطف على قوله { و اتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا } الآية ، فهذا تخصيص لظاهر العموم الذي في قوله : { و اتخذ قوم موسى } قُصد به الاحتراس لئلا يتوهم أنّ ذلك قد عمله قوم موسى كلّهم . و للتنبيه على دفع هذا التوهم قدم { و من قوم موسى } على متعلقه ".[2]

جاء الاحتراس في الآية الكريمة لتوضيح أنّ قوم بني إسرائيل من بينهم طائفة مؤمنة ، و منهم دون ذلك . و لو لم يأتي الاحتراس لتوهم متوهم أنّ جميع بني إسرائيل على نفس الشاكلة من سوء الأخلاق ، و الكذب .

---

[1] أحمد ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، تح : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، السعودية، ط1 / 1425هـ ، ج18 / ص167 .

[2] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج9 / ص141-142 .

فالمعروف أنّ أسلوب الاحتراس إمّا يكون وسط الكلام أو أخره ، إلّا أنّه في الآية الكريمة وقع أول الكلام و هذا لأنّه متعلق بما سبقه . يقول عبد الرحمان السعدي : " وكأن الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه تعالى ذكر فيما تقدم جملة من معايب بني إسرائيل، المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية".[1]

إنّ الآية الكريمة استثنت طائفة مؤمنة من بني إسرائيل ، و قد أسهم الاحتراس بدفع توهم العموم .

المثال الثـــالـــث عشـر :

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس : 03]

جاءت الآية الكريمة لتبيان و توضيح عظمة الله و وحدانيته ، و أنّه وحده من يستحق أن يفرد بالعبادة و التوحيد . و لا وجود لشفيع غيره إلّا بإذنه ، أي فيها نفي لمعتقدات المشركين من أنّ أصنامهم يشفعون لهم أمام الله عزّ وجل .

وقع فن الاحتراس في قوله عزّ وجل : { إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ} ، و قد أشار إليها الشّيخ الطّاهر ابن عاشور فقال : " و زيادة {إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ} احتراس لإثبات شفاعة محمد صلّى الله

[1] السعدي عبد الرحمان بن ناصر بن عبدالله ، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، تح : عبد الرحمان بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، ط1 / 1420 هـ ، ص305.

عليه و سلّم بإذن الله . قال تعالى : {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ } ، و المقصود من ذلك نفي الشّفاعة لآلهتهم من حيث أنّهم شركاء الله في الإلاهية ".[1]

و قال ابن جزي الكلبي : " { مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ} أي ما يشفع إليه أحد إلّا بعد أن يأذن هو له في الشفاعة ، و في هذا ردّ على المشركين الذين يزعمون أنّ الأصنام تشفع لهم ".[2]

المثال الرابع عشر :

قال تعالى : ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [يونس : 92]

جاءت الآية الكريمة متضمنة قصة موسى عليه السلام و هارون مع فرعون و بني إسرائيل ، حين قطع موسى عليه السّلام بهم البحر حتى تجاوزوه ، فحاول فرعون اتّباع موسى عليه السلام و بني إسرائيل للّحاق بهم ، فأغرقهم جميعا ، و ألقى البّحر جسد فرعون و كان آية لمن خلفه لأنّه ادّعى الألوهية و كان ذلك جزاءً له .

كما وقع فن الاحتراس في قوله تعالى : {بِبَدَنِكَ}، و صرّح بهذا الشّيخ الطّاهر بن عاشور فقال : " {بِبَدَنِكَ} مزيدة للتأكيد ، أي تأكيد آية إنجاء الجسد ،(...) و البدن الجسم بدون روح وهذا احتراس من أن يظنّ المراد الإنجاء من الغرق ".[3]

---

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج11 / ص88 .

[2] ابن جزي الكلبي أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الغرناطي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، تح : عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط1 / 1416 هـ ، ج1 / ص352 .

[3] ينظر : المصدر السابق ، ج11 / ص278 .

و قال ابن عجيبة : " فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ أي :ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر، ونجعلك طافياً على وجه الماء، (...)، حال كونك بِبَدَنِكَ عارياً عن الروح،(...)، لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً :لمن وراءك علامة يعرفون أنك من الهالكين، أو آية تدل على كمال قدرته وإحاطة علمه وحكمته، فإن إفراده بالإلقاء إلى الساحل دون غيره يفيد أنه مقصود لإزاحة الشك في أمره".[1]

يتضّح ممّا سبق وقوع فن الاحتراس في الآية الكريمة ، لأنّه قد يتوهم متوهم أنّ فرعون حي ، وأنّه قد نجي من الغرق فجاء الاحتراس و دفع ذلك التّوهم .

المثال الخامس عشر :

قال تعالى : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾

[النحل : 106]

في الآية الكريمة يخبرنا الله عزّ و جل أنّ الذي يكفر بعد إيمانه ، و يتبع شهوات الدّنيا و نطق بالكفر يغضب الله عليه و يعدّ له عذابًا عظيمًا .

و جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : { وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا } . و أكدّ ذلك الشّيخ الطّاهر بن عاشور فقال : " و الاستدراك بقوله :{وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا} استدراك على الاستثناء ، و هو احتراس من أن يفهم من الاستثناء أنّ المكره مرخص له أن ينسلخ عن الإيمان من قلبه ".[2]

[1] ابن عجيبة أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الأنجري الفاسي الصوفي ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تح : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، حسن عباس زكي ، القاهرة ، ط1 / 1419 هـ ، ج2 / 496 .

[2] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج14 / ص294 .

و لم يتم الوقوف على من ذكر أسلوب الاحتراس في الآية الكريمة ، سِوى الشّيخ الطّاهر بن عاشور .

و قال ابن تيمية : " و قد ذمّ الله في كتابه من يرتّد و يفتتن و لو أكره ، و هذا هو الذي ذمّه الله بقوله : { :{وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا} ". [1]

الـمثـال السادس عشـر :

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

[الحج : 65]

ذكرت الآية الكريمة نعم الله عزّ وجل ، و يبيّن للناظر و المتأمل قدرته على الكون في البّر و البحر و في السّماء ، و أنّه جلّ جلاله بقدرته يمسك السّماء أن تقع على الأرض رحمة بعباده .

و جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : { إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ } ، و أشار إلى ذلك الشّيخ الطّاهر بن عاشور ، فقال : " أنّ الله بتدبير علمه و قدرته جعل السّماء نظاما يمنعها من الخرور على الأرض ، فيكون قوله : {وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ} امتنانا على النّاس بالسلامة ممّا يفسد حياتهم ، و يكون قوله : { إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ } احتراسًا جمعا بين الامتنان و التخويف ، ليكون النّاس شاكرين مستزيدين من النّعم، خائفين من غضب ربّهم أن يأذن لبعض السّماء بالوقوع على الأرض ".[2]

[1] ابن تيمية أبو العباس تقي الدّين أحمد بن عبد الحليم ،كتاب الاستقامة ، تح : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محم بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ط1 / 1403 هـ ، ج2 / ص397 .

[2] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج17 / ص323 .

و قال السّمين الحلبي : " قوله: {إِلاَّ بِإِذْنِهِ} في هذا الجارِّ وجهان، أحدُهما :أنَّه متعلقٌ ب (تقعَ) أي: إلاَّ بإذنه فتقع .والثاني :أنَّه متعلِّقٌ بيُمْسِكُ .قال ابن عطية:" ويحتمل أَنْ يعودَ قولُه }إِلاَّ بِإِذْنِهِ {على الإمساك، لأنَّ الكلامَ يَقْتضي بغير عَمَدٍ ونحوَه، كأنه أراد :إلاَّ بإذنِه فبه يُمْسِكها"".[1]

و في تفسير آخر قيل : " ثم قال :وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ يعني: لئلا تقع على الأرض .ويقال:كراهة أن تقع على الارض، إِلَّا بِإِذْنِهِ، يعني :بأمره يوم القيامة".[2]

فمن المتضح أنّه لم يذكر مفسّر وجود الاحتراس في الآية الكريمة سوى الشّيخ الطّاهر بن عاشور في تفسيره .

المثال السابع عشر :

قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾ [النور : 27 – 29]

في الآية الكريمة بيّن الله تعالى مختلف الآداب التي وُجب العمل بها ، فقد أمر الله تعالى عباده بأن لا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم ، حتّى يستأذنوا قبل الدخول على أهلها . و أنّهم إذا لم يجدوا في ذلك البيت أحدًا ، لا يدخلوه حتى يتلقوا الإذن لهم . و أمرهم أنّهم إذا قيل لهم ارجعوا فيجب الرجوع و عدم الدخول .

[1] السّمين الحلبي ، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون ، ج8 / ص303 .

[2] السمرقندي أبو اللّيث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، بحر العلوم ، د.ط / د.ت ، ج2 / 468 .

كما أرشدهم إلى جواز أن يدخلوا بيوتًا ليس فيها أحد أي غير مسكونة ، و فيها متاع لهم ، فهو الله وحده العالم بما يُظهر عباده و ما يخفون .

أشار الشّيخ الطّاهر بن عاشور إلى وقوع فن الاحتراس في الآية الكريمة فقال : " و أمّا قوله {فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا} إلخ للاحتراس من أن يظن ظان أنّ المنازل غير المسكونة يدخلها الناس في غيبة أصحابها بدون إذن منهم توهمًا بأنّ علة شرع الاستئذان ما يكره أهل المنازل من رؤيتهم على غير تأهب بل العلة هي كراهتهم رؤية ما يحبون ستره من شؤونهم ".[1] فمعنى هذا أنّه يجب الاستئذان قبل الدّخول على الغير لكي لا يحدث حرج .

يقول الطبري في تفسيره : " يقول تعالى ذكره :فإن لم تجدوا في البيوت التي تستأذنون فيها أحدا، يأذن لكم بالدخول إليها، فلا تدخلوها، لأنها ليست لكم، فلا يحلّ لكم دخولها إلا بإذن أربابها، فإن أذن لكم أربابها أن تدخلوها فادخلوها (وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا)".[2]

و وضّح معنى الآية الكريمة البيضاوي فقال : " فإن لم تجدوا فيها أحدًا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يُؤذن لكم ، حتى يأتي من يأذن لكم ، فإنّ المانع من الدخول ليس الاطّلاع على العورات فقط، بل و على ما يخفيه الناس عادة مع أنّ التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور ، و استثنى ما عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر و نحوها ".[3]

فيتضح ممّا سبق أنّه جاء الاحتراس لدفع توهم أنّ الاستئذان شرّعه الله عزّ وجل لوجود كراهية أهل المنازل رؤيتهم على غير تأهب ، و أسهم في بيان أنّ الاستئذان شرّعه الله تعالى من أجل حفاظ أهل المنازل على خصوصياتهم و أسرارهم .

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج18 / ص201 .

[2] الطبري : تفسير الطبري جامع البيان ، ج19 / ص149 .

[3] البيضاوي : أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، ج4 / ص104 .

المثـــال الثـــامن عشـــر :

قال تعالى : ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النّمل : 91]

في الآية الكريمة جاء الأمر للرّسول صلّى الله عليه و سلّم ، ليقول للكفّار : أنّ الله عزّ وجل أمره بعبادة ربّ هذه البلدة : أي مكة المكرمة ، و بيان عظمة الله عزّ وجل أنّ له كلّ شيء .

جاء موقع الاحتراس حسب ما أشار إليه الشّيخ الطّاهر بن عاشور في قوله : " و تعقيب جملة { وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ } احتراس لئلا يتوهم من إضافة ربوبيته إلى البلدة اقتصار ملكه عليها ليعلم أنّ تلك الإضافة لتشريف المضاف إليه لا لتعريف المضاف بتعيين مظهر ملكه ".[1]

و أشار اليه كذلك البقاعي فقال : " ولما كانت إضافتها إليه إنما هي لمحض التشريف، قال احتراساً عما لعله يتوهم: {وله كل شيء} أي من غيرها مما أشركتموه به وغيره خلقاً وملكاً و ملكاً، وليس هو كالملوك الذين ليس لهم إلا ما حموه على غيرهم".[2]

و قال السّعدي في تفسيره : " {وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ} من العلويات والسفليات أتى به لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده".[3]

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج19 / ص57 .

[2] البقاعي برهان الدّين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ، نظم الدّرر في تناسب الآيات و السور ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ج14 ، ص229 .

[3] السعدي : تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، ص611 .

المثال التاسع عشر :

قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ [الطور : 21]

يخبر الله تعالى العباد أنّه يلحق بالمؤمنين الصّالحين ذريتهم الذين آمنوا في المنزلة ، حتّى لو كان عمل هؤلاء لا يبلغ تلك المنزلة . ولا ينقص درجات الآباء بسبب ذنوب أبنائهم، بل رفع منزلة الأبناء و أنّه عزّ وجل يقضي بالعدل ، و لا يحمل عبد ذنب غيره من الناس .

جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : [وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ] ، و قد صرّح بذلك الشّيخ الطّاهر بن عاشور فقال : " أنّ الله ألحق بهم ذرياتهم في الدّرجة في الجنة فضلًا منه على الذين آمنوا دون عوض احتراسًا من أن يحسبوا أنّ إلحاق ذرياتهم بهم بعد عطاء نصيب في حسناتهم لذرياتهم ليدخلوا به الجنة ".[1]

و قال ابن القيم : " لما أخبر سبحانه بإلحاق الذرّية ـ ولا عمل لهم ـ بآبائهم في الدرجة، فربما توهَّم متوهِّمٌ أن يحطَّ الآباء إلى درجة الذريّة، فرفع هذا التوهم بقوله :{ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} أي ما نقصنا من الآباء شيئًا من أجور أعمالهم، بل رفعنا ذريتهم إلى درجتهم، ولم نحطَّهم إلى درجتهم بنقص أجورهم".[2]

يتبيّن ممّا سبق وقوع فن الاحتراس في الآية الكريمة ،كما أنّه أسهم في دفع التوهم ، و بيان فضل الله عزّ وجل و كرمه على عباده المؤمنين .

---

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج27 / ص50 .

[2] ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تح : محمد أجمل الإصلاحي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط2 / 1440 هـ ، ج5 / ص10 .

المثال العشرون :

قال تعالى : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النّجم : 40/38]

إنّ الآية الكريمة تبيّن أنّ الإنسان له ما سعى ، في تحصيله بنفسه و عمله في الدّنيا هو ثوابه يوم القيامة ، خيرًا كان أو شرًا .

و وقع فن الاحتراس في قوله تعالى :{ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ } ، مؤكدًا ذلك الشّيخ الطّاهر ابن عاشور فقال : " لا تحصل لأحد فائدة عمل إلّا عمله بنفسه ، فلا يكون له عمل غيره ، و لام الاختصاص يرجح أنّ المراد ما سعاه من الأعمال الصّالحة ، و بذلك يكون ذكر هذا تتميمًا لمعنى " أن لا تزر وازرة وزر أخرى " ، احتراسًا من أن يخطر بالبال أنّ المدفوع عن غير فاعله هو الوزر ، و إنّ الخير ينال غير فاعله ".[1] فيتضّح من قوله أنّ فن الاحتراس جاء لدفع توهم أنّ الإنسان ليس له إلّا ما كسب ، و ليس له إلّا ما قام بتحصيله من خير و شر .

و قال البقاعي : " ولما نفى أن يضره إثم غيره نفى أن ينفعه سعي غيره فقال: { وأن ليس للإنسان} كائناً من كان {إلا ما سعى}".[2]

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج27 / ص132.

[2] البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، ج19 / ص72 .

المـثـال الحـادي و العـشرون :

قال تعالى : ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان : 19 / 21]

وصفت الآية الكريمة النّعيم الذي يكون فيه أهل الجنة ، فذكر الله تعالى أنّ المؤمنين الأبرار تطاف عليهم الخدم الوصفاء بآنية من فضة ، باطنها يُرى من ظاهرها . و قوله تعالى : { يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا} ، أي خمرًا تُمزج به عين في الجنّة تسمّى " سلسبيلًا " . و يطوف عليهم ولدان غلمان مخلّدون لا يتغيّرون يظل حالهم دائمًا كما هو ثابت .

جاء فنّ الاحتراس في قوله تعالى : { مُّخَلَّدُونَ } ، لكي لا يتبادر في الأذهان أنّ الولدان يهرمون و يشيبون و تتغيّر صفاتهم ، فجاء الاحتراس لدفع ذلك التوهم و أنّ هؤلاء الغلمان تبقى صفتهم ثابتة دون تغيير . و قال الشيّخ بن عاشور : " و وصفوا أنّهم { مُّخَلَّدُونَ } ، للاحتراس ممّا يوهمه اشتقاق " ولدان من أنّهم يشيبون و يكتهلون ، أي : لا تتغيّر صفاتهم فهم ولدان دومًا ".[1]

و قال الألوسي : " وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ أي دائمون على ما هم فيه من الطراوة والبهاء".[2]

و جاء احتراس آخر في الآية الكريمة في قوله تعالى : {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا } ، " هذا احتراس ممّا يوهمه شربهم من الكأس الممزوجة بالكافور و الزنجبيل من أن يكون فيها ما في أمثالها المعروفة في الدّنيا و من الغَوْل و سوء القول و الهذيان ، فعبّر عن ذلك بكون شرابهم طهورًا بصيغة

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج29 / ص397 .

[2] الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج15 / ص178 .

المبالغة في الطّهارة و هي النّزاهة من الخبائث ، أي منزّها عمّا في غيره من الخباثة . و أسند سقيه إلى ربّهم إظهارًا لكرامتهم ، أي أمر بسقيهم كما يقال : أطعمهم ربّ الدار و سقاهم ".[1]

كما أشار أبو حيان إلى هذا المعنى لكن دون ذكر مصطلح الاحتراس ، فلم يذكره في الآية الكريمة فقط الشّيخ ابن عاشور . فقال أبو حيان : " وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً، طَهُورٌ صِفَةُ مُبَالَغَةٍ فِي الطَّهَارَةِ، وَهِيَ مِنْ فِعْلٍ لَازِمٍ وَطَهَارَتُهَا بِكَوْنِهَا لَمْ يُؤْمَرْ بِاجْتِنَابِهَا، وَلَيْسَتْ كَخَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ فِي الشَّرْعِ رِجْسٌ أَوْ لِكَوْنِهَا لَمْ تُدَسْ بِرِجْلٍ دَنِسَةٍ، وَلَمْ تُمَسَّ بِيَدٍ وَضِرَةٍ، وَلَمْ تُوضَعْ فِي إِنَاءٍ لَمْ يُعْنَ بِتَنْظِيفِهِ".[2]

إنّ شراب الدّنيا مليء بالأقذار غير صاف ، و يؤثر على العقل و يذهبه . لذا جاء الاحتراس بدفع توهم أن يكون شراب الجنة على تلك الصفات غير المرغوبة ، لأنّه شراب طاهر مطهّر من الأقذار و بذلك زال التوهم .

المثال الثاني و العشرون :

قال تعالى : ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾

[النبأ : 37 / 38]

جاءت الآية الكريمة مبيّنة مصير الطّغاة الفجّار ، و مصير المتّقين الأبرار يوم البعث و الجزاء . وأنّ الملائكة يقومون بين يدي الله عزّ وجل صفًّا ، لا يستطيعون التّكلم في هذا اليوم إجلالًا لله سبحانه و تعالى ، وقوفًا عند منازلهم إلّا إذا أذن لهم ربّهم .

و جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : { لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا } ، مؤكدًا ذلك الشّيخ ابن عاشور بقوله : "يجوز أن تكون هذه الجملة حالًا من (مَا بَيْنَهُمَا) لأنّ ما بين السماوات والأرض

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج29 / ج400 .

[2] أبو حيان : البحر المحيط في التفسير ، ج10 / ص368 .

يشمل ما في ذلك من المخلوقات العاقلة ، أو المزعوم لها العقل مثل الأصنام ، فيتوهم أنّ مِن تلك المخلوقات من يستطيع خطاب الله و مراجعته .و يجوز أن تكون استئنافًا ابتدائيًا لإبطال مزاعم المشركين أو للاحتراس لدفع توهم أنّ ما تشعر به صلة رب من الرّفق بالمربوبين في تدبير شؤونهم يسيغ إقدامهم على خطاب الرّب ".[1]

على القول الأول بكون الجملة حالا فهي احتراس، وأما على القول الثاني باحتمال كونها استئنافا ابتدائيا فهو إما لأبطال مزاعم المشركين أو للاحتراس دفعا للتوهم الذي ذكره، و هذا معنى كلام الشّيخ ابن عاشور .

و قال أبو السعود : " لا يملكون مِنْهُ خِطَاباً استئنافٌ مقررٌ لما أفادَهُ الربوبيةُ العامةُ من غايةِ العظمةِ والكبرياءِ واستقلاله تعالى بما ذُكر من الجزاءِ والعطاءِ من غير أن يكون لأحدٍ قدرةٌ عليهِ".[2]

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج30 / ص49 .

[2] أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج9 / ص93 .

المثال الثالث و العشرون :

قال تعالى : ﴿يَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى : 11 / 13]

جاء فن الاحتراس في قوله تعالى : { وَلَا يَحْيَىٰ } ، حيث ذكر الله تعالى العذاب الذي ينتظر الكافر المكذّب ، أنّه سيدخل النّار و يطول مكثه فيها . فقد يتوهم متوهم أنّه سيموت كما يعرفون من أحوال النّار في الدّنيا . فأتى الاحتراس و نفى ذلك التوهم الباطل ، و بيّن أنّ الذي يكون في العذاب لا يموت في النّار بل يتجدد عليه العذاب .

قال الشيخ ابن عاشور : " { لَا يَمُوتُ } لا يزول عنه الإحساس ، فإنّ الموت فقدان الإحساس مع ما في هذه الحالة من الأعجوبة و هي ممّا يؤكد اعتبار تراخي الرتبة في هذا التنكيل .

و تعقيبه بقوله : { وَلَا يَحْيَىٰ } احتراس لدفع توهم أن يراد بنفي الموت عنهم أنّهم استراحوا من العذاب لما هو متعارف من أنّ الاحتراق يُهلك المحرَق ".[1]

كما أشار إليه البقاعي فقال : " {ثم لا يموت فيها} أي لا يتجدد له في هذه النار موت وإن طال المدى.

ولما كان من يدخل النار فلا تؤثر في موته قد يكون ذلك إكراماً له من باب خرق العوائد، احترز عنه بقوله : { ولا يحيى } أي حياة تنفعه لأنه ما تزكى فلا صدق ولا صلى".[2]

ممّا سبق يتبيّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة ، و بيّنت شدّة عذاب جهنم .

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج30 / ص286 .

[2] البقاعي : نظم الدّرر في تناسب الآيات و السور ، ج21 / ص402 .

خـــاتـــــمـــــة

خـــاتـــمـــة :

و في ختام هذه الدّراسة التي تناولت فيها موضوع : بلاغة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم من خلال تفسير " التحرير و التنوير " للشّيخ بن عاشور رحمه الله ، و عرضتها في فصلين . الفصل الأول : أسلوب الاحتراس المفهوم و الضوابط ، الفصل الثاني : بلاغة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم ، و التي كان من أهدافها :

- التعريف بأسلوب الاحتراس ، و التمييز بينه و بين الأساليب الأخرى القريبة منه .
- بيان القيمة الأدبية و الدّور البلاغي الذي يؤديه هذا الأسلوب .
- الوقوف عند الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا الأسلوب بالاعتماد على كتاب تفسير " التحرير و التنوير " للشّيخ بن عاشور .

يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية :

- أسلوب الاحتراس هو العبارة المؤتى بها في الكلام لدفع التوهم . فالغرض الأساس منه هو دفع التوهم الذي يفسّر المعنى ، أو يعلّله ، أو يؤكده ، أو يخصّصه ..
- جعل البلاغيون أسلوب الاحتراس ضربين : ضرب يتوسط الكلام ، و ضرب يأتي في نهاية الكلام .
- يختلف أسلوب الاحتراس عن غيره من الأساليب البلاغية ، كالتكميل ، والتتميم ، والتذييل ، والاعتراض ..
- يعدّ أسلوب الاحتراس ضرب من ضروب الإطناب ، الذي ينتمي إلى فروع علم المعاني ، ويبيّن دور البلاغة و ما تتركه من أثر في نفس المخاطب .
- نال أسلوب الاحتراس عناية فائقة من قِبل المفسّرين ، و تميّزوا عن أهل اللغة ، فكان لهم الفضل في التحليلات و كثرة الشواهد و الأمثلة ، و وُظف في بيان معاني القرآن الكريم .

- يعدّ الشّيخ الطّاهر بن عاشور أكثر المفسرين تعرضًا و تجلية لهذا الأسلوب في القرآن الكريم من خلال تفسيره " التحرير و التنوير ".
- اجتهد الشّيخ الطّاهر بن عاشور في تبيان أهم الآيات المتضمنة أسلوب الاحتراس في تفسيره " التحرير و التنوير " ،كما أنّه وفّق في تبيان غرض الاحتراس في آيات القرآن المجيد .
- جاء الاحتراس في القرآن الكريم لنفي وجود أي مجال للشك ،وجيء به لدفع فهم خلاف المقصود ، صيانة للمعنى ، و حفظًا له ، و للدّقة في التعبير عن المراد.
- ورد الاحتراس في فواصل الآيات و ذلك لتمكين المعنى في النفوس ، و تحقيق العلاقة القوية بين الآية و فاصلتها ، و البناء القوي المتماسك .
- أسهم الاحتراس في كشف المقاصد القرآنية غير دفع التوهم و إزالة اللبس ، كتقرير التوحيد والعبودية لله سبحانه و تعالى ، و التعظيم و التنزيه ..
- استخدم القرآن الكريم أسلوب الاحتراس في موضوعات متعددة شملت العقيدة و الشريعة ، والأخلاق و القصص...

و ما أوصي به بناءً على ما ظهر لي من هذا البحث ما يلي :

- وجوب التوسع و البحث في أسلوب الاحتراس ، و إعطائه العناية التي تليق به ، نظرًا لأنّه ما يزال بحاجة إلى زيادة بحث في القرآن الكريم .
- وجوب تكاتف جهود العلماء و الدّارسين للتفسير و البلاغة في خدمة القرآن الكريم لما يحتويه من ظواهر بلاغية لا بد من الوقوف عندها ، و ذلك لإبراز إعجاز القرآن الكريم .

ملحق

التعريف بالشّيخ الطّاهر بن عاشور و مدونته تفسير

" التحرير و التنوير "

مـــلـــحـــــق :

عرفت تونس العديد من كبار المجتهدين و الرّاسخين في ميادين العلم و الاجتهاد في تحرير العقول بالتوجيه و الإرشاد و الإفهام ، من بينهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الذي أسهم في بناء الأصول و القواعد المعتمدة في الفتوى و الإصلاح الدّيني في مختلف المجالات ، و من الشخصيات التي لها مصنّفات هامة في فنون العلم المختلفة .

1. نبـذة عـن حيـاة الشّيخ الطـّاهر بـن عاشـور:

➢ ولادتـــــه و نشـــأتـــه :

يعدّ الشيخ محمد الطّاهر بن عاشور من كبار المجتهدين في ميادين العلم الذين شغلوا حياتهم في العلم و التعلم و الإفادة . "ولد محمد الطّاهر بن محمد بن محمد الطّاهر بن عاشور، بقصر جدّه للأم بالمرسى (ضاحية من ضواحي تونس العاصمة) في (1269 هـ / 1879 م) في أسرة علمية تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس ".[1]

كانت نشأة الإمام الطاهر بن عاشور منذ البداية علمية ، فبدأ بتعلّم القراءة ، و حفظ القرآن الكريم و أتقنه حفظا . و حفظ بعض المتون العلمية ، " و التحق بجامع الزيتونة سنة 1310 هـ / 1892 هـ و هو في الرابعة عشرة من عمره ، فدرس علوم النّحو ، و الصرف ، و البلاغة ، و المنطق، و التفسير ، و القراءات ، و الحديث ، و مصطلح الحديث ، و الكلام ، و أصول الفقه ، و الفقه ، و الفرائض ".[2] حتى تحصّل على شهادة التطويع عام "(1317هـ/ 1899م)، التحق إثرها بسلك

[1] ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد التونسي ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تقديم : حاتم بوسمة ، ، دار الكتاب المصري / القاهرة و دار الكتاب اللبناني / بيروت ، ط1 / 2011م ، ج1 / ص18 .

[2] المرجع نفسه ، ج1 / ص21 .

التدريس في جامع الزيتونة ، و لم تمض سنوات قليلة حتى عين مدرسًا من الطبقة الأولى بعد اجتياز اختبارها سنة (1324هـ / 1907 م)".[1]

➢ **شيـــوخـــه** : [2]

تتلمذ الشّيخ الطّاهر بن عاشور على يد مجموعة من الشّيوخ . فتخرج على الشيخ عبد القادر التميمي في تجويد القرآن، وعلم القراءات، وبخاصة في رواية قالون. وعلى الشيخ محمَّد النخلي، درس عليه من كتب علوم الوسائل »القطر «و »المكودي على الخلاصة و (مقدمة الإعراب) في النحو و (مختصر السعد) في البلاغة و (التهذيب) في المنطق. وتخرَّج به في أصول الفقه بدراسة الحطَّاب على (الورقات)، و (التنقيح) للقرافي، وفي الفقه المالكي بكتاب (ميارة على المرشد) و (كفاية الطلب على الرسالة). وقرأ على الشيخ محمَّد صالح الشريف كتاب خالد الأزهرية، و (القطر) لابن هشام. و (المكودي على الخلاصة) في النحو. و (السُّلَّم) في المنطق، وفي علوم العقائد :(مختصر السعد على العقائد النسفية) و (التاودي على التحفية) في الفقه. وعن الشيخ عمر بن عاشور (لامية الأفعال) وشروحها في الصرف، و (تعليق الدماميني على المغني) لابن هشام في النحو، و (مختصر السعد) في البلاغة، و (الدردير) في الفقه. و (الدرّة) في الفرائض. كما درس على الشيخ محمَّد النجار الشريف كتاب (المكودي على الخلاصة) في النحو. و (مختصر السعد) في البلاغة. و (المواقف) في علم الكلام. و (البيقونيَّة) أو (غرامي صحيح) في مصطلح الحديث. وقرأ على الشيخ محمَّد طاهر جعفر (شرح لمحلي على جمع الجوامع) في أصول الفقه. و (الشهاب الخفاجي على الشفاء) للقاضي عياض في السيرة النبوية. وعلى الشيخ أحمد جمال الدين (القطر) في النحو، و (الدردير)في الفقه. وعلى الشيخ محمَّد صالح الشاهد (الدردير). وعلى لشيخ محمَّد العربي الدرعي (كفاية الطالب على الرسالة) في الفقه.

[1] ابن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية ، ج1 / ص22.

[2] ينظر : ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد التونسي، كشف المغطّى من المعاني و الألفاظ الواقعة في الموطأ ، تح: طه بن علي بوسريح ، محقق المقدّمة : النّاشر ، دار سحنون للنشر و التوزيع ، تونس ، ط2/ 1428هـ ، ص7-8 .

إنّ الشيوخ المذكورين من بعض العلماء الذين تلّقى الشيخ الطاهر بن عاشور العلم على أيديهم. و كان لهم الفضل و كانوا السبب في نبوغ الشيخ الطاهر بن عاشور و تحصيله العلوم بمختلف فروعها.

➢ **تـــلاميـــذه :**

تولّى الشيخ الطّاهر بن عاشور التدريس في جامع الزيتونة ، و لمدة طويلة ، تتلمذ و تخرّج على يديه عدد كبير من الطّلاب " أبرزهم ابنه الشّيخ محمد الفاضل ابن عاشور (1390هـ / 1970م) ، و ممّن تخرّجوا عليه الشّيخ الدّكتور محمد الحبيب بن خوجة ".[1]

[1] ابن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية ، ج1 / ص22.

➢ **مؤلـــفـاتـه :** [1]

❖ **في العلوم الإسلامية :**

- كتاب التحرير و التنوير .
- مقاصد الشريعة الإسلامية .
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام .
- تحقيقات و أنظار في القرآن و السّنة .
- أليس الصبح بقريب .
- الوقف و آثاره في الإسلام .
- كشف المغطى من المعاني و الألفاظ الواقعة في الموطأ .
- قصة المولد النبوي الشريف .
- حاشية التوضيح و التصحيح لمشكلات كتاب التنقيح لشهاب الدّين القرافي .
- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح .
- التوضيح و التصحيح في أصول الفقه ،..

❖ **في اللغة العربية و آدابها :**

- أصول الإنشاء و الخطابة .
- موجز البلاغة .
- قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلق (جمع و تعليق).
- تحقيق ديوان بشار .
- تحقيق الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني.
- تحقيق سرقات المتنبي و مشكل معانيه لابن السراج .

[1] ينظر : ابن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية ، ج1 / ص30 – 34 .

- شرح المقدمة الأدبية للمرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام .
- ديوان النابغة الذبياني (جمع و شرح و تحقيق) .
- الآمالي على دلائل الإعجاز للجرجاني .
- شرح معلقة امرئ القيس .
- غرائب الاستعمال ، ..

❖ **المجلات العلمية التي أسهم فيها :**

- السعادة العظمى ، تونس .
- المجلة الزيتونية ، تونس .
- هدى الإسلام ، مصر .
- نور الإسلام ، مصر .
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- مجلة المجمع العلمي بدمشق .

❖ **الصـــحف التـــي كتـــب فيـــها :**

- جريدة الزهرة .
- جريدة حبيب الأمة .
- جريدة لسان الشعب .
- جريدة النهضة .
- جريدة الزمان .
- جريدة الأسبوع .
- جريدة النجاح الجزائرية .

➢ **وفـاتـــــــه :**

كانت حياة الشّيخ الطّاهر بن عاشور كلّها في الإفادة و الاستفادة ، إلى أن وافته المنية " في 13 رجب 1393هـ ، الموافق لـ 12 أغسطس 1973م ، و دفن بمقبرة الجلاز ، تاركًا آثارًا نفيسة و مؤلّفات قيّمة في مختلف العلوم الإسلامية و الأدبية ".[1]

[1] ابن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية ، ج1 / ص28 .

2. نبـــذة عـــن كتـــاب تـــفسير التحـــرير و التـــنوير :

إنّ كتاب تفسير " التحرير و التنوير " من تأليف الشيخ الطّاهر محمد بن عاشور ، و هو محصلة تسعة و ثلاثين عامّا من العمل. حيث بدأ تأليفه سنة 1341 هـ . و اسمه الكامل حسب قوله في مقدّمة الكتاب :" و سمّيته " تحرير المعنى السّديد ، و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، و اختصرت هذا الاسم باسم : " التحرير و التنوير من التفسير " .[1]

احتوى الكتاب على عشر مقدّمات ، و كل مقدّمة جعل لها عنوانًا خاصًّا بها و جاءت كالتالي :[2]

- ❖ تمهيد عن الكتاب .
- ❖ المقدّمة الأولى : في التفسير و التأويل و كون التفسير علما .
- ❖ المقدّمة الثانية : في استمداد علم التفسير .
- ❖ المقدّمة الثالثة : في صحة التفسير بغير المأثور و معنى التفسير بالرأي و نحوه .
- ❖ المقدّمة الرابعة : فيما يحق أن يكون غرض المفسّر .
- ❖ المقدّمة الخامسة : في أسباب النزول .
- ❖ المقدّمة السادسة : في القراءات ، أي في ألفاظ القرآن الكريم .
- ❖ المقدّمة السابعة : في قصص القرآن .
- ❖ المقدّمة الثامنة : في اسم القرآن و آياته و سوره و ترتيبها و أسمائها .
- ❖ المقدّمة التاسعة : في أن المعاني التي تتحمّلها جمل القرآن تعتبر مراده بها .

[1] ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج1 /ص8-9 .

[2] المصدر نفسه ، ج1 / ص 5 -130 .

❖ المقدّمة العاشرة : في إعجاز القرآن .

و عندما أتمّ المقدّمات العشر ابتدأ تفسيره من سورة الفاتحة ، إلى سورة النّاس . و كان في تفسيره يشرع باسم السورة و فضل قراءتها ، و ترتيب نزولها ، ويشير إلى السورة التي قبها و التي تليها، و بيان أغراضها ، عدد آياتها ومحتوياتها ، ثمّ يشرع بتفسيرها قطعة بقطعة .

كما اهتمّ في تفسيره ببيان وجوه الإعجاز و النكت البلاغية و أساليب الاستعمال ، و بيّن طريقة تفسيره في قوله : " و لم أغادر سورة إلّا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون النّاظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته و معاني جمله كأنّها فقر متفرّقة تصرفه عن روعة انسجامه و تحجب عنه روائع جماله . و اهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط و تحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة ".[1]

و جاء الكتاب في ثلاثين جزءا ، في خمسة عشر مجلّدا ، و كان هذا الكتاب أكبر أمنية يتمنّاها فقال : " أمّا بعد فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد ، تفسير الكتاب المجيد ، الجامع لمصالح الدّنيا و الدّين ، و موثق شديد العرى من الحقّ المتين.."[2]. و أتمّ الكتاب بمنزله ببلد المرسى الشرقيّ بتونس،"عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين و ثلاثمائة و ألف فكانت مدّة تأليفه تسعا و ثلاثين سنة وستة أشهر".[3] و طبع الكتاب في دار سحنون للنّشر و التوزيع بتونس .

و ختم الكتاب بعبارة قال فيها : " و إنّ كلام ربّ النّاس ، حقيق بأن يخدم سعيا على الرّأس ، و ما أدّى هذا الحقّ إلّا قلم المفسّر يسعى على القرطاس ، و إنّ قلمي طالما استنّ بشوط فسيح ، و كم زجر عند الكلال و الإعياء زجر المنيح ، و إذ قد أتى على التّمام فقد حقّ له أن يستريح ".[4]

---

[1] ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج1 / ص8 .

[2] المصدر نفسه ، ج1 / ص5 .

[3] المصدر نفسه ، ج30 / ص636 .

[4] المصدر نفسه ، ج30 / ص636 .

كما ختمه راجيا من المولى عزّ وجل أن يكون كتابه به منفعة للجمهور فقال : " وأرجو منه تعالى لهذا التفسير أن ينجد و يغور ، و أن ينفع به الخاصة و الجمهور ، و جعلني به من الذين يرجون تجارة لن تبور ". [1]

[1] ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج30 / ص637 .

الـفـهـارس

الفـــهـــارس الفـــنيـــة :

فـــــهـــــرس الآيـــات

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾	البقرة	139	9
﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾	الأحقاف	19	10
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾	الفتح	29	11
﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾	هود	44	12
﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ	الغاشية	7–1	13

ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧			
﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤﴾	آل عمران	134	14
{ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ }	البقرة	196	17
{ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣}	النور	03	18
{إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ }	الإنسان	09	18
﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤﴾	النساء	124	20
{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ۝٣٠}	النجم	30	20
﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٢٠٢﴾	البقرة	202	23
﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥﴾	البقرة	205	24
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٢١﴾	النور	21	25
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾	البقرة	37	26

﴿* إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾	التوبة	111	26
﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٧﴾	البقرة	237	26
{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦}	آل عمران	56	27
﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾	البقرة	143–142	29
﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾	النحل	101	29
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢﴾	محمد	02	30

{قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣}	يوسف	73	30
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾	الواقعة	76–75	30
﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾	البقرة	25	33
﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾	البقرة	101–100	34
﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾	البقرة	105	35
﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾	البقرة	120	36
﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾	البقرة	123–122	37

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنَا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾	البقرة	126	39
﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤﴾	البقرة	134	39
﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾	البقرة	135	41
﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ١٣٩﴾	البقرة	139	42
﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾	آل عمران	110	43
﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾	الأنعام	152	44
﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩﴾	الأعراف	159	45
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾	يونس	03	46

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾	يونس	92	47
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾	النحل	106	48
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾	الحج	65	49
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾	النور	29–27	50
﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾	النمل	91	52
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾	الطور	21	53

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾	النجم	40–38	54
﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾	الإنسان	21–19	55
﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾	النبأ	38–37	56
﴿يَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾	الأعلى	13–11	58

قائمة

المصادر والمراجع

قـائـــمـــة الـــمـصـــادر و الـمـراجـــع :

المـــصـــادر :

- القرآن الكريم .

- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد التونسي ، التحرير و التنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 هـ .

الـمـراجـع :

المعـاجـم :

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ، لسان العرب ، الحواشي : اليازجي وجماعة من اللغويين ، دار صادر ، بيروت ، ط3 / 1414 هـ.
- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي ، الصّحاح تاج اللّغة و صحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 / 1407 هـ.

الكـتـــب :

- ابن الأثير ضياء الدّين نصر الله بن محمد ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق: أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
- ابن أبي الأصبع المصري عبد العظيم بن عبد الواحد بن طاهر البغدادي العدواني ، تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ، تقديم و تحقيق : حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ط1 / 1383 هـ .

- الألوسي شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 / 1415 هـ.
- الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن للباقلاني ، تحقيق : السيّد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط05 / 1997 م.
- البقاعي برهان الدّين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ، نظم الدّرر في تناسب الآيات و السور ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .
- البيضاوي أبو سعيد ناصر الدّين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، تفسير البيضاوي " أنوار التنزيل و أسرار التأويل" ، تحقيق: محمد عبد الرحمان المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، ط1 / 1418 هـ .
- ابن تيمية أبو العباس تقي الدّين أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى ، تح : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، السعودية ، ط1 / 1425هـ.
- ابن تيمية ، كتاب الاستقامة ، تح : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محم بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ط1 / 1403 هـ .
- الجرجاني الشريف علي بن محمد بن علي الزين ، كتاب التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 / 1403 هـ.
- ابن جزي الكلبي أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الغرناطي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، تح : عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط1 / 1416هـ .
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، البحر المحيط في التّفسير ، تحقيق : صدقي محمد جميل ،دار الفكر ، بيروت ، ط1 / 1420هـ.

- الخطيب القزويني أبو المعالي جلال الدّين محمد بن عبد الرحمان بن عمر الشافعي ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط 03 / 1419 هـ .
- الخطيب القزويني أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر الشافعي ، التلخيص في علوم البلاغة ، تحقيق: الأستاذ عبد الرحمان البرقوقي ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- الرازي فخر الدّين خطيب الرّي أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، ط3 / 1420هـ.
- ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن الأزدي ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تحقيق : محمد محيي الدّين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط05 /1401 هـ.
- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط3 / 1957 م.
- السبكي بهاء الدّين أبو حامد بن علي الكافي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: الدّكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 / 1423 هـ.
- السعدي عبد الرحمان بن ناصر بن عبدالله ، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، تح : عبد الرحمان بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، ط1 / 1420 هـ.
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " تفسير أبي السعود "، دار المصحف – مكتبة و مطبعة عبد الرّحمان محمد ، القاهرة.
- السمرقندي أبو اللّيث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، بحر العلوم.
- السّمين الحلبي أبو العباس شهاب الدّين أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم ، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تح : أحمد محمد الخراط ، دار القلم / بيروت.

- السيوطي جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 / 1408 هـ.
- الشافعي محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري ، تفسير حدائق الروح و الريحان في روابي القرآن ، تحقيق : هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة، بيروت، ط01 / 1421 هـ .
- صديق حسن خان أبو الطيب محمد بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوَّجي ، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1/ 1412هـ.
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري جامع البيان ، دار التربية و التراث ، مكة المكرمة ، ط1.
- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد التونسي ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تقديم : حاتم بوسمة، دار الكتاب المصري / القاهرة و دار الكتاب اللبناني / بيروت ، ط1 / 2011م.
- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد التونسي، كشف المغطّى من المعاني و الألفاظ الواقعة في الموطأ ، تح: طه بن علي بوسريح ، محقق المقدّمة : النّاشر ، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس ، ط2/ 1428هـ .
- ابن عثيمين محمد بن صالح بن محمد ، تفسير الفاتحة و البقرة ، دار ابن جوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط1 / 1423هـ.
- ابن عجيبة أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الأنجري الفاسي الصوفي ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تح : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، حسن عباس زكي ، القاهرة، ط1 / 1419هـ.
- ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح : محمد أجمل الإصلاحي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط2 / 1440 هـ.

- محيي الدين درويش مصطفى بن أحمد ، إعراب القرآن و بيانه ، دار اليمامة ، بيروت ، ط 03 / 1412 هـ.
- الميداني عبد الرحمان بن حسن حبنكة الدّمشقي ، البلاغة العربية ، دار القلم ،دمشق ، ط1 / 1416 هـ.
- النيسابوري نظام الدّين الحسن بن محمد بن حسين القمي ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط1 / 1416 هـ .

المـــجـــلات :

- أحمد فتحي رمضان و عدنان عبد السلام الأسعد ، الاحتراس في القرآن الكريم : دراسة بلاغية ، آداب الرافدين ،كلية الآداب جامعة الموصل ، العراق ، أفريل / 1430 هـ ، العدد (54) .

الفهرس العام

الفـــــهـــــرس الـــــعـــــام:

شـــكر و تـــقـــدير..... 4
مقـــــدّمـــــة : ..... أ
الـفـصـل الأول : أسلوب الاحتراس المفهوم و الضوابط..... 8
الـــمبحـث الأول : مفـــهوم أسلـــوب الاحتـــراس..... 8
أولا : الاحـــتـــراس فـــي اللغـــة 8
ثانيـــا : الاحتـــراس فـــي الاصطـــلاح..... 8
ثـالثـا : الاحـــتـراس فـي القـرآن الكـــريم 9
الـمبحـث الثـانـي : الـفـرق بين أسلـوب الاحـتـراس و بـعض الأساليـــب البـــلاغـية الأخـــرى16
أولا : التكـــــــــميـــــل..... 16
ثـانيـــا : التـتـميم..... 20
ثـــالثـــا : التـــــذييل..... 23
رابـعـــا : الاعـــتـــراض 28
الـفـصـل الـثـانـــي : بـلاغـة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم : 33
الـــمثـــال الأول 33
الـــمـثـال الثـانـــي 34
المـثـال الثـالـــث 35
المـــثـال الـرابـــع 36
المـــثـــال الخـامـس 37
المـثـال السادس 39
المثال السابـــع 39
المـثـال الثـــامـن..... 41

المـثـال التـاسـع 42
المـثـال العـاشـر 43
المـثـال الحـادي عـشـر 44
المـثـال الـثـاني عشـر 45
المـثـال الـثـالـث عشـر 46
المـثـال الـرابـع عـشـر 47
المـثـال الـخـامـس عـشـر 48
الـمـثـال السادس عشـر 49
المـثـال السـابـع عـشـر 50
المثـال الثـامن عشـر 52
المـثـال الـتـاسـع عشـر 53
المـثـال العـشـرون :..... 54
المـثـال الحـادي و العـشرون 55
المـثـال الثـانـي و العـشرون 56
المـثـال الـثـالـث و الـعـشـرون : 58
خـاتـمـة : 60
مـلـحـق : 63
1. نبـذة عـن حيـاة الشّيخ الطـّاهر بـن عاشـور:..... 63
ولادتـه و نشـأتـه : 63
شيـوخـه : 64
تـلاميـذه :..... 65
مؤلـفـاتـه :..... 66
وفـاتـه :..... 68

2. نبـذة عـن كتـاب تـفسير التحـرير و التـنوير : 69

الفـــهـــارس الفـــنيـــة : 73

فـــــهـــــرس الآيـــات..... 73

قـــائـــمـــة الـــمـــصـــادر و الـــمـــراجـــع : 81

الفـهـرس الـعـام..... 87

مـلـخـص الـبـحـث :

تناول هذا البحث بلاغة أسلوب الاحتراس في القرآن الكريم من خلال تفسير " التحرير والتنوير" للشّيخ الطّاهر بن عاشور ، و يزخر القرآن الكريم بهذا الفن البلاغي (أسلوب الاحتراس) الذي هو ضرب من ضروب الإطناب ، الذي يحظى بأهمية من قِبَل علماء البلاغة و المفسّرين.

فالاحتراس هو العبارة المؤتى بها في الكلام لدفع التوهم ، الذي يفسّر المعنى ، أو يعلّله ، أو يؤكده ، أو يخصّصه .. ،و يأتي إمّا وسط الكلام أو في نهايته . كما أنّه يختلف عن غيره من الأساليب البلاغية كالتكميل ،و التتميم ، و التذييل ، و الاعتراض ..

و يعتبر الشّيخ الطّاهر بن عاشور أكثر المفسّرين تعرضًا و تجلية لهذا الأسلوب في القرآن الكريم من خلال تفسيره " التحرير و التنوير " ، فاجتهد في تبيان أهم الآيات المتضمنة له ، و قد وُفّق في تبيان غرضه في آيات القرآن المجيد .

Research Summary:

This research dealt with the eloquence of the method of caution in the Holy Qur'an through the interpretation of "liberation and enlightenment" of Sheikh Taher bin Ashur, and the Holy Qur'an abounds in this rhetorical art (method of caution), which is a kind of redundancy, which is important by scholars of rhetoric and commentators.

Caution is the phrase used in speech to push the illusion, which interprets the meaning, or explains it, or confirms it, or

allocates it. It comes either in the middle of speech or at the end. It also differs from other rhetorical methods such as complementation, complement, appendix, and objection.

Sheikh Taher bin Ashour is considered the most exposed and manifested commentator of this method in the Holy Qur'an through his interpretation of "liberation and enlightenment", so he worked hard to clarify the most important verses contained in it, and he succeeded in clarifying his purpose in the verses of the Glorious Qur'an.